قصيدة:

أمام ضريح الحسين(ع)

صالح الظالمي •

أتيت وطيفك لم يغب ... يسايرني زاهي الموكب
ويعبر بي عتمات السنين ... إلى عالم بالسنا أرحب
أتيت لأقرأ سفر الخلود ... بغير دمائك لم تكتب
وكل الذي فيه من معجب ... ينقل عيني إلى الأعجب
فؤادك مازال غضاً يفيض ... حناناً مع السهم لم ينضب
ومن عجب أن يشع الجبين ... من قسوة الحجر الأصلب
يلملم جسمك ذوب النجوم ... رداءً عليه ولم يسلب
وإن خطفت صوتك الباترات ... يؤدي الرسالة جرح نبي

---

* منتقاة من ديوان الشاعر (ديواني) ص١٥٩.

تأملت مزدحم الذكريات ... فأذهلني كل ما مر بي
جلال الإمامة في منكب ... وثقل النبوة في منكب
وكبر إذا التهمتك السيوف ... وتحت السنابك أنف أبي
كريم تجود ببقيا الفؤاد ... طعاماً الى الخنجر المسغب
وإنك وحدك تلقى الجموع ... وتهوي صريعاً ولم تغلب
أبا الشهداء وحسب الشهيد ... جلالاً يلوح هذا أبي
وجدك منك وإنك منه ... فخار مع النسب الطيب
سقوط ثناياه بدء الجهاد ... وختم في خدك المترب
فديتك من واهب للحياة ... يطل على العالم المجدب
ومن عطش فيك بين الظماء ... يطوف بالمنهل الأعذب
وتبقى ربيعاً يمس المحول ... فيهتز في نشوة المخصب
أتيت وطفلك ظامي الفؤاد ... وغير حنانك لم يشرب
ومازال في دمه لاهب ... يمد السماء ولم ينضب

تلاعبه حاذقات السهام ... وليس سوى النحر من ملعب
زحام على الموت حتى الرضيع ... يعانق مدرعة الأشيب
أجل العقيدة تزكو الدماء ... وضاءً على دربها المتعب
وتعبر فوق عريش النجوم ... ويقسو الضباب ولم تحجب
أتيتك والحرف وقف عليك ... يطاول أجنحة الكوكب
تموت القصيدة إن أحجمت ... حيال دماك ولم تخضب
أعرني بعض لهيب الجراح ... لشعري متى يمتهن يغضب
وصوتاً يزمجر فوق الطغاة ... كفيل بزعزعة المنصب
وفجراً يمزق عنف الظلام ... إذا اختال في خطوه المرعب
أحبك حتى ملأت الوطاب ... وزاد ولم أدن من مأربي
ويطفح كأسي وأبقى أعب ... كأني من قبل لم أشرب
أتيتك هل ومضة من سناك ... تمزق أروقة الغيهب
لأعرف أني حبيت القبول ... وحسبي وصولاً إلى مطلبي ■

ص ٨٦

ص ٥٤

ص ١٠٤

ص ٧٢

كلمة العدد

الشعائر الحسينية

المشرف العام ٨

عدد خاص

المعالم الرسالية في خطبة الإمام الحسين عليه السلام

محمد كاظم حسين الفتلاوي ١٠

القيم التربوية المستوحاة من نهضة الإمام الحسين عليه السلام

أ. م. د. نجم عبد الله الموسوي ٢٢

الفلسفة العقدية لقيام الإمام الحسين عليه السلام

علي الفحام ٢٨

من أعلام قرّاء المقتل.. السيد محمد تقي بحر العلوم

حيدر الجد ٣٦

ثورة الإمام الحسين عليه السلام.. دروس وعبر

محمد دعيبل ٤٤

قصيدة: لهيب الخيام

علي الصفار الكربلائي ٥٤

نبوءة زينب عليها السلام بخلود الحسين عليه السلام

فلاح العلياوي ٥٦

أثر الأساليب الشعبية في خلود القضية الحسينية

السيد علاء الموسوي ٦٢

رسالة الحسين عليه السلام إلى البصرة.. رؤية تاريخية

حيـدر المالكـي ٦٦

تحديد المواقف بين الأيديولوجية والمعرفة بعد واقعة الطف

الشـيخ حسـن كريم الربيعي ٧٢

من فكر الإمام الحسين عليه السلام

حسين جودي كاظم الجبوري ٨٠

البعد الأخلاقي للثورة الحسينية

د. جـون العتابـي ٨٦

الشيعة وعاشوراء في غانا

هاشـم سـعدون ٩٠

قراءة في كتاب: الدوافع الذاتية لأنصار الحسين عليه السلام

د. حيدر نزار السـيد سـلمان ٩٨

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام العراق موطناً للشهادة؟

أ. م. د. هادي عبد النبي التميمي ... ١٠٤

الهجمات المتتالية على كربلاء

د. سـلمان هادي آل طعمة ١١٨

أجوبة مسابقة العدد (٤٢) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسـابقة العـدد (٤٤) ١٢٩

ص ٨٠

ص ١١٨

ص ٤٤

ص ٢٢

الشعائر الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

تحل علينا هذه الأيام ذكرى استشهاد سيد شباب أهل الجنة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين بن علي عليهما السلام ونحن عن أسرة مجلة (**ينابيع**) الغراء إذ نعزي سيدنا ومولانا الإمام المنتظر(عجل الله فرجه) ومراجعنا العظام وإخواننا المؤمنين بهذه الفاجعة التي حلت بالأمة الإسلامية والتي كشفت عن بعد الانحراف الذي منيت به الأمة الإسلامية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من ارتكاب تلك الجرائم البشعة، والتعدي على الحرمات بشكل يندى له جبين الإنسانية، لا يفوتني أن أذكر إخواننا المؤمنين بعدة أمور، ونحن نشترك معهم، بعد ما اعتادوا على ممارسات خاصة تعظيماً لشعائر سيد الشهداء عليه السلام، وإعلاء لكلمة الله في الأرض، وتبليغاً لهذا الدين الحنيف ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة.

١. ينبغي الاهتمام من جميع الأطراف بإظهار التفجع والتوجع لهذه الفاجعة الأليمة وإظهار الحزن والجزع على سيد الشهداء عليه السلام، وما حل به وبأهل بيته، بعيداً عن مظاهر أخرى لا تمت إلى الحزن والتألم بصلة، ويدلنا على ضرورة ذلك ومحبوبيته كثير من النصوص الشريفة المتضمنة لضرورة التألم بمصاب سيد الشهداء عليه السلام، وإظهار الجزع عليه، ويكفينا ما ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولاً أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة... إلى أن قال:**

قلت: جعلت فداك إن هذا الأمر عظيم!، قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه ، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟!، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال ، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم،

وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة». وكفى ذلك حافزاً ودافعاً لأن تتضمن شعائرنا ما ذكرناه من التفجع والتوجع لأن إسعاد الزهراء عليها السلام لا يكون إلا بالتألم والتأثر العاطفي وإظهار المصيبة بشكل يتلائم مع واقعها وما عليه الزهراء عليها السلام من مصيبة سيد الشهداء عليه السلام وما روي عن حالها عندما ينشر قميص الحسين عليه السلام.

٢. الاهتمام بنكران الذات وعدم التصدي للسبق وجعل الهم الشاغل لنا جميعاً هو العزاء على مصيبة سيد الشهداء عليه السلام مع نسيان جميع الفوارق والخصوصيات التي قد يتمتع بها بعض المؤمنين، فإن ذلك كله يعطي صورة ناصعة لهذه الشعائر، ويميزها عن غيرها من الشعائر التي تقوم بها الأمم، ويضفي عليها خصوصية لا توجد في غيرها، كما هو الحال فيها بالنسبة للشعائر الأخرى. بل قد يؤدي التسابق وإظهار الخصوصيات الفردية إلى التشاحن والبغضاء بين المؤمنين مما يدفع بهم للعمل على المصالح الشخصية، وتخرج الشعائر بذلك عن روحها والهدف منها. بل قد تستغل من قبل الأعداء ويجعل الخلاف والشحناء ذريعة لضرب هذه الشعائر والنيل منها. وكفى به مفسدة كبيرة أن نكون سبباً لضرب هذه الشعائر المقدسة والنيل منها.

٣. استشعار الألم واعتبار المصيبة مصيبة كل واحد من المؤمنين لما في ذلك من الإخلاص لله تعالى في العمل في هذا الميدان، فإن الإنسان إذا استشعر أن المصيبة مصيبته وأن الفقيد فقيده يخلو وجدانه من العمل بغير إخلاص، بل يعمل مخلصاً جاهداً لتحصيل أروع السبل في خدمة هذه القضية المقدسة، ويكون ذلك نابعاً من ضميره من دون تصنع. وحينئذ نكون معرضاً لرحمة الله تعالى ورضوانه، وموردا لنيل البركات السماوية كما يكون ذلك سبباً لتضاعف الحسنات، فإنها مرهونة بالتقرب إلى الله تعالى. وعلينا بالرجوع إلى الروايات الشريفة الواردة في هذا الشأن لنرى عظم العمل الذي نقوم به، وبُعده على الصعيد الديني في الدنيا والآخرة، كما أنه سبب في الغفران وباب من أبواب الرضوان، ولعل تفسير الحديث: «**كلنا أبواب النجاة ولكن باب الحسين أوسع**» يصب في ذلك.

فالمرجو من إخواننا المؤمنين (وفقهم الله تعالى) الاهتمام البالغ بهذه الشعائر المقدسة، ونسأل الله تعالى أن يوفقهم ويعينهم على أدائها بأحسن وجه، فإنه من وراء القصد، وهو مع المؤمنين يتكفل بتسديدهم وتأييدهم ببركة صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وجعلنا من أنصاره وأعوانه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ■

المشرف العام

المعالم الرسالية

في خطبة الإمام الحسين(ع)

محمد كاظم حسين الفتلاوي •
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

ينابيع: الناظر إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام يلحظ أنها تتركز في ثلاثة أسباب كلّية دعت إلى الخروج، وهي:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: فرض البيعة الإلزامية على الحسين عليه السلام وامتناع الإمام عن تلبية مثل هذا المطلب.

ثالثاً: دعوة أهل الكوفة للحسين عليه السلام للقدوم عليهم[1]..

ونلحظ أن السبب الأخير هو من أضعف الأسباب في الميزان؛ حيث تبدّل وضع الكوفيين كان كفيلاً بأن يدفع الإمام الحسين عليه السلام للتخلي عن سائر أهدافه الأخرى ويتجه نحو المصالحة مع النظام والموافقة على البيعة بينما تطورت القضية لاحقاً أثبتت العكس، إذ أن أكثر خطب الحسين حماساً ولهيباً واشتعالاً هي خطبته التي جاءت بعد تراجع أهل الكوفة عن موقفهم الأول.

وأما العوامل الرئيسة للنهضة الحسينية يمكن أن نجملها في:

* تغيير الأوضاع السياسية واستبدال الجهاز الحاكم وأسلوب الإدارة والسياسة والتعامل مع الأمة وفق الموازين والمقاييس

التي ثبتها الإسلام.

* إيقاظ الحس والوعي السياسي للأمة وجعلها جهاز مراقبة للسلطة متى ما انحرفت عن المبادئ أو تخلت عن تطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية.

* تثبيت مبدأ شرعية المقاومة المسلحة للحاكم الظالم.

* إعادة تربية وبناء الأمة من جديد بناءً سليماً.

* تصحيح الانحراف وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها.

* كسر حاجز الخوف والإرهاب المفروض على الأمة وتحريك روح الثورة والفداء فيها.

وكان الإمام الحسين عليه السلام مع هذا؛ من رجال الفصاحة وفرسانها وحماة البلاغة، وشجعانها، عليه تهدّلت أغصانها ومنه تشعّبت أفنانها، يفوح ارج النبوة من كلامه ويعبق نشر الرسالة من نثره ونظمه.

وللذوق الأدبي بسيرته ملتقى، كملتقى الفكر والخيال والعاطفة، وسوف نجتزئ من خطبةٍ له عليه السلام بعض القبسات[٢] مسلطين الضوء - بقدر مستطاع الباحث - على هذه الشذرات الكريمة في بيان المعالم الرسالية فيها[٣]، خاتماً الكلام بالموقع الرسالي للإمام عليه السلام.

أولاً: المعاني المهمة التي تضمنها استهلال الخطبة: تبدو الخطبة في مجملها شائعة يسيرة الفهم، إلا أننا ونحن نتلوها وهي في حلتها البلاغية، نشعر أننا أمام أثر فني متكامل، بالرغم من تصديه عليه السلام لجماعة قلّما صفت ذائقتها الفنية، وأن عناية الإمام بالأداء الأدبي لم تصرفه عن العناية بالواقع النفسي، كما أن نقمته عليهم لم تثنه عن التوسل بما يثير عواطفهم، ويصور ضلالهم وعنادهم وجبنهم.

وقد بدت أفكاره عليه السلام أفكار واعظة، تحدّث إليهم بأمور دينهم، وأن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم الحق وأنصار الحق، فتبّاً لهم ولما يريدون.

وهذا هو أسلوب الأنبياء والمصلحين الرساليين في تأكيد الدعوة الإصلاحية

وأن عملهم هو قربة إلى الله تعالى وإن كانت هذه الدعوة لا تثمر في بعض العباد العاصين إلا أنهم يدعوهم لما هو خير على كل الأحوال وإن اعترض من اعترض، وهذا ما نلمسه في صريح القرآن الكريم، قال تعالى: (**وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**)[٤].

يقول السيد الطباطبائي: (إن المتعدين طغوا في تعديهم وتجاهروا في فسقهم فلم يكونوا لينتهوا بنهي ظاهراً غير أن الأمة التي كانت تعظهم لم ييأسوا من تأثير العظة فيهم، وكانوا يرجون منهم الانتهاء لو استمروا في عظتهم، ولا أقل من انتهاء بعضهم ولو بعض الانتهاء، وليكون ذلك معذرة منهم إلى الله سبحانه بإظهار أنهم غير موافقين لهم في فسقهم منزجرون عن طغيانهم بالتمرد)[٥].

ونلحظ هنا أيضاً أن المصلحين أضافوا الرب إلى اللائمين لهم ـ وهم غير الفاسقين ممن يئس من الفاسقين ولم يعد ينصحهم ـ ولم يقولوا: إلى ربنا إشارة إلى أن التكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل انتم أيضاً مثلنا يجب عليكم أن تعظوهم لأن ربكم لمكان ربوبيته يجب أن يعتذر إليه، ويبذل الجهد في فراغ الذمة من تكاليفه والوظائف التي أحالها إلى عباده، وأنتم مربوبون له كما نحن مربوبون فعليكم من التكاليف ما هو علينا.

ثانياً: عمد الإمام الحسين عليه السلام إلى تذكير القوم بنسبه وشأنه ومنزلته لعلهم يرجعوا عن غيهم ويحاسبوا أنفسهم، فهو ابن نبيهم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه، وهو أخو الحسن. قال عنهما جدهما الرسول صلى الله عليه وآله: (سيدا شباب أهل الجنة)[٦].

ويرى الباحث أن الإمام الحسين عليه السلام أراد من ذكر هذا النسب الشريف والأسماء المقدسة هو تذكيرهم بمنازل الوحي والألطاف الإلهية التي أفاضت على أهل هذا البيت، ويكتفي الباحث في هذا المورد بقوله تعالى: (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**)[٧].

يقول الآلوسي بعد أن يذكر حديث الكساء المتعارف[٨] والذي جمع الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسنان عليهم السلام، وبعد كلام طويل حول الآية: (... هذا ما عندي في الكلام على الآية الكريمة المتضمنة لفضيلة لأهل البيت عظيمة، ويعلم منه وجه التعبير بـ(يريد) على صيغة المضارع ووجه تقديم إذهاب الرجس على التطهير ووجه دعائه صلى الله عليه وآله لأهل الكساء بإذهاب الرجس من غير حاجة إلى القول بأن ذلك طلب للدوام كما قيل في قوله تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا آمنوا**)[٩] ونحوه ولا يورد عليه كثير مما يورد على غيره ومع هذا لمسلك الذهن اتساع ولا حجر على فضل الله عز وجل فلا مانع من أن يوفق أحداً لما هو أحسن من هذا وأجل فتدبر ذاك والله سبحانه يتولى هداك)[١٠].

ويرى الباحث أن الله سبحانه وفق كثيراً من المؤمنين إلى تلمس المقصد الإلهي في هذه الآية الكريمة، فهذا السيد الطباطبائي بعد كلام طويل في تفسيرها يقول: (والمعنى: أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل واثر العمل السيئ

عنكم أهل البيت وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة)[11].

ثالثاً: إصرار القوم على الانتقام: استخدام أسلوب التهديد والوعيد قبال مواعظ الإمام الحسين عليه السلام وإرشاده ونصحه إياهم؛ فقال الأجلاف الطغاة، المتحجرة قلوبهم: (نحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً)، وفي موضع آخر قال قيس بن الأشعث للإمام الحسين عليه السلام: (تنزل على حكم بني عمك)، وهذه اللغة هي ذاتها اللغة التي انبرى الطغاة ألظلمة يوجهونها إلى الدعاة الرساليين من الأنبياء والصالحين عندما تعييهم الحجج والبراهين، وهكذا في كل زمان ومكان؛ استكباراً وعدواناً عليهم. ونلتمس مثل هؤلاء القوم في القرآن الكريم وحالهم مع أولياء الله تعالى، قال سبحانه عن قوم نبي الله شعيب عليه السلام: (**قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين**)[12].

يقول السيد الطباطبائي: (لم يسترشد الملأ المستكبرون من قومه بما أرشدهم إليه من الصبر وانتظار الحكم الفصل في ذلك من الله سبحانه بل بادروه بتهديده وبتهديد المؤمنين بإخراجهم من أرضهم إلا أن يرجعوا إلى ملتهم بالارتداد عن دين التوحيد)[13]، وان كان الأمر في حق الإمام الحسين عليه السلام كان من طغاة عصره هو أما الموت أو الركون إلى الظالمين كما يستشف من ردود أفعالهم ومقولتهم.

عندها أيقن الإمام الحسين عليه السلام، فإما أن يبايع الفاجر العاهر وإما أن يقتل، ولا يكفيه مجرد السكوت، فالجماعة سيطر على قلوبهم حب الدنيا والمال الذي وعدهم به يزيد، ونسوا ذكر الله وعبدوا الشيطان بدل عبادة الله. فهل يترك الإمام الحسين عليه السلام وظيفته الإلهية ومسؤوليته اتجاه أمته واتجاه أبيه وجده، وتجاه الله تعالى، ويصير من أتباع يزيد، ويصبح

مطيعاً ومؤيداً ليزيد بعيداً عن التقوى؟!

هذا مما لا يمكن تصوره في حقه عليه السلام فنفسه كنفس أبيه وجده فهم وجدوا لأجل إصلاح الأمة الإسلامية وهداية الناس إلى سواء السبيل.

رابعاً: النقمة: في هذه المرحلة يئس الإمام من إصلاح القوم لتحجر قلوبهم وبعدهم عن إتباع الحق، فثار عليهم وأنبهم: (تباً لكم أيتها الجماعة وترحا[١٤]، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين[١٥]، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم[١٦] علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألباً[١٧] لأعدائكم على أوليائكم؟!

فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن)، لقد بدت النقمة مبثوثة في طيات هذا الجزء من الخطبة بصورة واضحة، نقمة ثورية تقريرية تلتفت إلى واقع الأمور وتنقله، وقد بعثت به إلى ذلك التكرار عندما أعلن لهم إنهم عبيد الأمة، ونفثت الشيطان، وزادت النقمة، وطفح الكيل.

وهذا الأمر تعود صورته مرة أخرى كردة فعل للمصلحين الرساليين؛ فهذا نبي الله شعيب لما بلغ الكلام هذا المبلغ وقد اخبره طغاة عصره بعزمهم وعقد أمرهم على احد أمرين: الإخراج أو العود، ولما كانت العقيدة والأهداف أسمى من العاصين المتمردين في نفوس المصلحين؛ هنا كانت ردة فعل اليأس من هدايتهم؛ قال شعيب عليه السلام: (**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**)[١٨].

يقول السيد الطباطبائي: (يسأل ربه أن يفتح بينهم أي بين شعيب والمؤمنين به، وبين المشركين من قومه، وهو الحكم الفصل فإن الفتح بين شيئين يستلزم إبعاد كل منهما عن صاحبه حتى لا يماس هذا ذاك ولا ذاك هذا دعا عليه السلام بالفتح وكنى به عن الحكم الفصل وهو الهلاك أو هو بمنزلته)[١٩].

وأبو الأحرار وسيد الشهداء - روحي له الفداء - اختار المواجهة لإحقاق الحق مؤثرها على السلامة والدعة؛ وهذا ما اطمأنت له نفسه الرسالية القرآنية وبناءه المحمدي العلوي عندما حلل إرهاصات القوم وسبلهم وكيدهم بالإسلام، قال عليه السلام: (ألا إن الدعي[٢٠] ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة[٢١] وبين الذلة، وهيهات منا الذلة).

هو شعار طرحه الإمام من خلال ثورته الرسالية المباركة، أراد أن ينبه الأمة من خلاله إلى أصالتها الرسالية، وعقيدتها القرآنية وإن العزة الحقيقية لا تكون بالضرورة مع أصحاب المناصب والجاه الدنيوي والرفاهية المادية وفي هؤلاء هو مصداق قوله تعالى: (**أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا**)[٢٢] ونلحظ في هذه الآية الكريمة (استفهام إنكاري ثم جواب بما يقرر الإنكار فان العزة من فروع الملك، والملك لله وحده)[٢٣]، فلا يمكن أن تكون العزة إلا مع المالك الحقيقي وهذا المالك الحقيقي هو الله المنعم على عباده المكرمين وبيده الأمور؛ قال تعالى: (**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء**)[٢٤]؛ وكذلك نلحظ التأكيد على العزة في قوله تعالى: (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**)[٢٥]، فإذا لم يكن الإمام الحسين عليه السلام من المؤمنين فمن

عسا أن يكون من المؤمنين، بل كيف لا يرتقي إلى أكثر من ذلك درجة وهو القائل فيه جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين)[٢٦].

وبهذا أراد الإمام صد المحاولات الأموية التي سعت إلى إفراغ الأمة من محتواها العقائدي وهي محاولات جاهلية يرفضها الإسلام ويرفضها المؤمنون، أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يصحح مفهوم العز والذل في شعاره هذا، فطاغية عصره يزيد ومن قبله معاوية والأسرة الأموية ساروا على خطى السنة الفرعونية والقارونية والجاهلية العمياء.

فقد فرضوا الذل على المسلمين وألبسوهم هذا الثوب البعيد عن إسلامهم وإيمانهم، فبعض الناس كعمر بن سعد وغيره... تنازلوا عن هذه العزة والكرامة من اجل حفنة من المال قدمها الطاغية فألجمهم عن قولهم الحق واستعبدهم.

وبعض آخر استهواهم بالمناصب والمراتب فذلوا له وأطاعوه طاعة الحيوانات، فتعطلت حواسهم وإدراكهم وتفكيرهم.

وقسم ثالث رفضوا كل عطيات الحاكم الظالم، ونظروا إلى الحق بعين الإسلام التي تابا الذل والهوان، وترفض المساومة والاستعباد على مقومات عزتها وكرامتها، وأبت أن يقودها يزيد وأتباعه، ومن هم على شاكلته، لان الذل لا يسمح به الله تعالى لعباده، فإذا كانت العزة بهذا العمق وهذا التأصل فهل يتنازل عنه سيد الشهداء وابن الأكرمين ليزيد الدعي ابن الدعي!!.

خامساً: الأدلة والبراهين: بدأت الخطبة تجري بأسلوب تصاعدي يتدرج فيه الإمام بإظهار نقمته درجة درجة، حتى إن الفكرة اللاحقة تطئ الفكرة السابقة وتتسامى عليها، ويكاد لا يصل إلى المقطع الأخير حتى يكون قد عبر عن جميع ما كان يضطرب في نفسه، ويلهج في صدره من أفكار وآراء معتمداً على البراهين المنطقية والآيات القرآنية:

١- **(فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكون أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون)**[٢٧]، ونلحظ إن استشهاد الإمام بهذه الآية لم يكن عفوياً بل إن تناسبها مع الموقف يجدد سبب نزولها وهدفها، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيرها: (إن نوحاً رسول الله الكبير صمد مقابل أعداءه الأقوياء المعاندين وواجههم بقاطعيه وحزم وفي منتهى الشجاعة والشهامة مع أصحابه القليلين الذين كانوا معه، وكان يستهزئ بقواهم ويريهم عدم اهتمامه بخططهم وأفكارهم وأصنامهم، وبهذه الطريقة كان يوجه ضربة نفسية عنيفة إلى أفكارهم)[٢٨].

هذا من جانب نبي الله نوح عليه السلام ولنزولها على نبينا محمد صلى الله عليه وآله شاهد آخر له عليه السلام للتصبّر والتسلية لما وقع عليه وانه كان واقع على إخوانه من الأنبياء عليهم السلام.

٢- **(إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم)**[٢٩]. وهذا دليل آخر يستشهد بها الإمام عليه السلام وهي لنبي آخر من أنبياء الله تعالى وهو هود عليه السلام، ونلحظ هذا التطابق الموضوعي لحركات المصلحين

المعصومين، ومعنى الآية الكريمة محل الشاهد والتي على لسان النبي هود عليه السلام لقومه العاصين؛ يقول الشيرازي في تفسيرها: (إنني لا أقول إلا الحق والصدق، وإن قلبي مرتبط بعالم آخر، فلو فكرتم جيداً لكان هذا وحده معجزا حيث ينهض إنسان مفرد وحيد بوجه الخرافات والعقائد الفاسدة في مجتمع قوي ومتعصب، ولكنه في الوقت ذاته لا يشعر في نفسه بالخوف منهم، ولا يستطيع الأعداء أن يقفوا بوجهه! ثم يضيف: لستم وحدكم في قبضة الله فانه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها)، فما لم يأذن به الله، لا يستطيع احد أن يفعل شيئاً)[٣٠].

وهذه الأدلة القاطعة، والبراهين المنطقية، ضرورية للتأثير في الخطابة، لأنها تضع السامع أمام واقع يشاهده ويلتمسه بحواسه، وتسهم في إقناعه عن طريق العقل والمنطق.

وهكذا نرى الأدلة والبراهين وإدخال الآيات القرآنية شواهد دامغة تمثل اللحمة في الخطبة، وقد ظهرا في خطب الإمام علي عليه السلام كما ظهرت أيضاً في خطب النبي صلى الله عليه وآله وهي تدل على إن الخطبة أصبحت أقرب إلى الحياة الواقعية وأكثر ارتباطاً بعضها ببعض من الخطب الجاهلية، المتشبه في أحيان كثيرة بأسجاع الكهان.

سادساً: (المقابلة والتمثيل) والدعاء وإعمال العقل: كما استعان الإمام بالأدلة الشائعة في الخطابة آنذاك، فانه توسل أيضاً بما يدعونه (المقابلة)، فهو إذاً أراد أن يمثل حبهم الدنيا والمناصب وتهافتهم عليها وصفه بأنه كتهافت الفراش الذي يسرع إلى النار ليحترق بها، وهذا دليل رعونتهم وظلالهم ونهايتهم المحزنة، فبعد أن ضاق ذرعاً بهم قال الإمام عليه السلام بعد أن رفع يديه إلى السماء: (اللهم احبس عنهم مطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة).

لأنهم خذلوه وكذبوه؛ وهذا التكذيب والخذلان بطبيعة الحال هو تكذيب وخذلان لمبادئ الإسلام وأساس الإيمان عند التفكر في بواعث النهضة الحسينية.

كل هذا الدعاء المؤثر يرمز إلى إن انتصارهم هو انتصار الباطل على الحق، ويؤدي بهم إلى تمثل الخزي الذي لحق بهم.

ودعاء المصلحين لا ينبع من غضب فارغ، أو لفوات منفعة آنية، بل هو لأجل الإصلاح وإن كان هذا الإصلاح آجلاً في موعده؛ فهم يطلبون تفكيك العقبات التي تقف حائلاً أمام ولوج الإصلاح إلى مضانه، ومن هذه الموانع الإصلاحية وجود هكذا طغاة منحرفين عن الجادة الحق، فإبادتهم فتح لنور الشمس ليصل إلى غيرهم ممن حرموا إياه بسبب وقوفهم وصدهم.

وهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعوا على قومه العاصين المنحرفين، قال تعالى: (**وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**)[٣١]، ثم يتضح سبب هذا الدعاء وتبريره في قوله تعالى: (**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**)؛ وهنا تشير الآية إلى (أن دعاء الأنبياء ومن بينهم نوح عليه السلام لم يكن ناتجاً عن الغضب والانتقام والحقد، بل إنه على أساس منطقي، وإن نوحاً عليه السلام ليس ممن يتضجر ويضيق صدره لأوهن الأمور فيفتح فمه بالدعاء عليهم)[٣٢].

وهذا ما نلحظه أيضاً عند وارث الأنبياء الإمام الحسين عليه السلام وما تقدم من دعاءه على

الظالمين، فظالم الحسين الذي لم يحفظ حرمة الإمام لا يمكن أن يحفظ حرمة احد من المسلمين مع علو وشرف الإمام الحسين عليه السلام وهو من لا ابن بنت نبي على وجه الأرض غيره.

واستعمل الإمام عليه السلام في تعبيره المتقدم ما فيه إثارة العقل وإعماله ودعوة إلى التفكر، بما ضرب من أمثلة؛ وهذا أسلوب قرآني بامتياز كما يتضح من آيات القرآن الكريم[٣٣].

والخطيب الرسالي الناجح في خطبته هو الذي يعتمد المنطق في تحليله وأمثلته لإثارة العقول، وقد يتحقق الإبداع الخطابي ويظهر في قدرة الخطيب على اكتشاف النتائج التي تستميل عقول السامعين وتؤثر في نفوسهم تأثيراً عميقاً.

سابعاً: الانحراف العقائدي للقوم واليأس منهم: يظهر واضحاً الحالة التي يعبر عنها الإمام عليه السلام في النهاية وهي مفعمة باليأس من القوم الضالين الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فحسبوا أن في قتل الحسين اجر وجزاء فكانوا مصداق قوله تعالى: (**أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً**)[٣٤]، وسوء الفهم وتلبس الشيطان والانحراف هذا هو (المفتاح لكل مصائب الأقوام الضالة والمعاندة، الذين يرون أعمالهم القبيحة أعمالاً جميلة، وذلك لانسجامها مع شهواتهم وقلوبهم المعتمة)[٣٥].

ومن خلالها استطاع الأمويون تحشيد الجيوش للقضاء على رسالية الثورة الحسينية، مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل الذي خلفته السقيفة، ونلمس هذا الزيف في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ من قادة الجيش الأموي

ـ يحفز الناس لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام حين وجد منهم ترددا وتباطؤا عن الأوامر قائلاً:

(يا أهل الكوفة ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام)[٣٦]. فالدين في دعوى الأمويين طاعة يزيد ومقاتلة الحسين عليه السلام.

فكانت النتيجة الزحف والقتال لأن الأمة في سُبات لا يُنهضها منه إلا صدمة ودم، وليس صدمة كالصدمات ولا دم كالدماء، وهي بحاجة إلى هداية من نوع آخر لا تتحقق ولا يتحقق فيها الرشد في عصرها وما بعده إلا من كان فيه نفس الرسول ورساليته الإصلاحية (هدفه) عند انعدام الرسول صلى الله عليه وآله؛ انه الحسين فحسب، فقال عليه السلام: (ألا واني زاحفٌ بهذه الأسرة، على قلة العدد، وخذلان الناصر... والله لا يدع احد منهم إلا انتقم إلي منه، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وانه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي...)[٣٧].

وهو عليه السلام متألم على هؤلاء القوم الضالين الظالمين، آسفاً على مصيرهم وعاقبتهم الحتمية في جهنم، وان يكون عليه السلام السبب الذي يؤدي إلى سوء عاقبتهم مع ظلمهم إياه وجرأتهم عليه[٣٨].

وهذا ليس بغريب على وارث الأنبياء عليهم السلام، فذاك جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يتألم ويتحسر على مصير الضالين والكافرين، فيقول الله سبحانه له: (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)[٣٩]، والآية واضحة الإشارة على شدة تحرق الرسول صلى الله عليه وآله على الضالين والمنحرفين، (وكذلك هي حال القائد الإلهي المخلص يتألم لعدم تقبل الناس الحق وتسليمهم للباطل، وضربهم بكل أسباب السعادة عرض الجدار، إلى حد كان روحه تريد أن تفارق بدنه)[٤٠].

ومع كل هذا لقد أبى القوم إلا الإصرار على حربه والتمادي في باطلهم، وأجابوه بمثل ما أجاب به أهل مدين نبيهم كما حكى الله عز وجل عنهم في كتابه الكريم: **(ما نفقه مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً)**[٤١].

(...وأنت يا ربنا عليك توكلنا واليك المصير) هكذا ختم السبط الإمام خطبته مع الظالمين المنحرفين بالتوكل والصبر على الأذى في جنب الله تعالى، وهكذا ختم الرسل كلامهم مع طغاة عصرهم وظالميهم، قال تعالى: **(وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون)**[٤٢]، وفي تفسير قول الرسل لقومهم يقول السيد الطباطبائي: (من تفريع الصبر على ما بين وجوب التوكل عليه أي إذا كان من الواجب أن نتوكل عليه ونحن مؤمنون به وقد هدانا سبلنا فلنصبرن على إيذائكم لنا في سبيل الدعوة إليه متوكلين عليه حتى يحكم بما يريد ويفعل ما يشاء من غير أن نأوي في ذلك إلى ما عندنا من ظاهر الحول والقوة)[٤٣].

وأخيراً يرى الباحث أن الإمام الحسين عليه السلام هو الامتداد الطبيعي للأنبياء عليهم السلام ووارثهم، وان في (تاريخ الفكر السياسي يلوح فصل مضئ من الفكر السياسي للأنبياء، شكّل عاملاً مصيرياً مهماً في تاريخ العالم السياسي، جديراً بالتأمل والدراسة)[٤٤]، فـ(هم عليهم السلام مَن بادر إلى إقامة الكيان السياسي، ليس على مبدأ القوة أو الصراع الطبقي، وإنما

على أساس شرائع سماوية ذات مناهج اجتماعية، تنظم حركة المجتمع على وفق قواعد الحق والعدل، وتوحد صفوفه في ظل قيادة رساليّة (الأنبياء)، وهذا ما يمكن تسميته بالدولة، وعليه يكون الترابط بين ظاهرة النبوة وظاهرة الدولة ترابطاً سببياً وزمنياً[٤٥] فقد نشأت هذه الظاهرة على يد الأنبياء، ورسالات السماء، واتخذت صيغتها السوية، ومارست دورها السليم في قيادة المجتمع الإنساني، وتوجيهه من خلال ما حققه الأنبياء من أهداف في هذا المجال من تنظيم اجتماعي[٤٦].

فالدعوة بحاجة إلى برامج وأيديولوجية موجهة ومنتظمة، لان كل مشروع أو تنظيم هو بنفسه عمل سياسي، فالهداية بمعنى التوجيه، والقيادة بمعنى إيصال جماعة إلى إيديولوجية وأهداف محددة ومرسومة من قبل، إنما هما الاصطلاح السياسي بنفسه.

فدراسة الأهداف السياسية للأنبياء وتحليلها وتفسير مرتكز الفكر السياسي الإسلامي، هي من أهم الأبحاث في هذا المجال، وكذلك بيان مدى العلاقة والارتباط بين السياسة والدين في إعطاء النتائج لقد اعتمدت الأديان الإلهية ثلاثة أهداف مهمة وأساسية في إستراتيجية عملها وهي:

* إقامة القسط وهداية المجتمعات البشرية نحو تطبيق العدالة.

* الدعوة إلى الحق، وإيجاد الارتباط البنّاء والمتين بين الإنسان وربه.

* السير نحو التكامل، قال تعالى: (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**)[٤٧].

وكل واحد من هذه الأهداف السماوية و تعاليم الأنبياء، له ارتباط مباشر بقضايا السياسة[٤٨] - وهذه الأهداف ذاتها نلحظها في النهضة الحسينية الرسالية كما تقدم - وهي لا تتحقق أبداً من دون أن يكون هناك فكر سياسي منسجم ومنتظم، وفلسفة سياسية واضحة متكاملة. وعلى هذا، فان هداية الأنبياء هي بمعنى القيادة الرسالية، وبذلك هي عمل سياسي محض، وان أئمة أهل البيت هم ورثة الأنبياء، ولا مجال لأي شبهة تثار هنا أو هناك بأن الإمام الحسين عليه السلام طالب دنيا وسلطان، وأن معالم خطبته لشاهد لا ينكرها إلا معاند ظلوم، وأن موقعه من الأمة موقع القائد الهادي، والعالم المعصوم، والمصلح الرسالي. والحمد لله رب العالمين ■

---

(١) ظ: عباس محمود العقاد، أبو الشهداء الحسين بن علي _ من مقدمة المحقق – ص٢٦.

(٢) للاطلاع على الخطبة كاملة، ينظر: المفيد (٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٩٨/٢.الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، ٤٥٩/١،

(٣) أفاد الباحث كثيراً من د. حسين الحاج حسن، الرسالية في الثورة الحسينية ص٢٣٧ - ٢٥٤.

(٤) سورة الأعراف، ١٦٤.

(٥) الميزان في تفسير القرآن، ٢٥٥/٨.

(٦) ألمجلسي، بحار الأنوار، ١٧٨/١٤.

(٧) سورة الأحزاب ، ٣٣.

(٨) سورة الأحزاب ، ٣٣.

(٩) سورة النساء ، ١٣٦.

(١٠) روح المعاني، ٢٧٢/٢٢. وقد أورد الآلوسي كثير من الروايات الدالة على إن المقصود من

أهل البيت هم الخمسة عليهم السلام.
(١١) الميـزان في تفسـير القـرآن، ٢٦٨/١٦. وأورد السيد كثير من الروايات الدالة على إن أهل البيت هم الخمسة أصحاب الكساء.
(١٢) سورة الأعراف ، ٨٨.
(١٣) الميزان في تفسير القرآن، ١٦٦/٨.
(١٤) التـرح نقيـض الفرح، وترحـه الأمر أي أحزنـه .ظ: ابـن منظور، لسـان العرب، ٤١٧/٢.
(١٥) موجفين: مسرعين في السير.
(١٦) حششتم: أوقدتم.
(١٧) البا: مجتمعين.
(١٨) سورة الأعراف ، ٨٩.
(١٩) الميزان في تفسير القرآن، ١٦٧/٨.
(٢٠) الدعي: هو المنسـوب إلـى غير أبيه وقد كانوا يفعلونه حتى جاء الإسلام فجعل الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقد خالف معاوية القـران الكريم والسـنة الشـريفة بإدعائه زياد بن سـمية، ظ: ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ٤٨٧/٣.
(٢١) السلة: استلال السيوف.
(٢٢) سورة النساء ، ١٣٩.
(٢٣) محمد حسـين الطباطبائـي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠٢/٥.
(٢٤) سورة آل عمران، ٢٦.
(٢٥) سـورة المنافقـون، ٨. ومن كلام لحفيد الإمام الحسين j الإمام جعفر الصادق j قال: (إن الله تبـارك وتعالى فـوّض إلى المؤمن أموره كلّها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، الم تر قول الله سبحانه وتعالى هاهنا: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلا)، للتوسعة ينظر: الكليني، الكافي، ٦٣/٥
(٢٦) ألمجلسـي، بحـار الأنـوار، ٣٠٦/٤٣. للتوسـعة فـي مضاميـن هـذا الحديـث الشـريف، ينظـر كتـاب: محمـد باقـر البهبـودي، قال رسـول الله: حسـين مني وأنا من حسـين، ترجمة: جعفر بهاء الدين مـرزه، مؤسسـة أهـل البيـت، بيروت، ١٩٨١م.
(٢٧) سورة يونس، ٧١.
(٢٨) الأمثـل في تفسـير كتـاب الله المنزل، ٢٧٩/٦.
(٢٩) سورة هود، ٥٦.
(٣٠) الأمثـل في تفسـير كتـاب الله المنزل، ٣٩٠/٦.
(٣١) سورة نوح، ٢٨.
(٣٢) ناصـر مـكارم الشـيرازي، الأمثـل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٠/١٩.
(٣٣) على سبيل المثال ينظر: سورة الروم، ١٠، سورة الإسراء، ١٦، سورة الحج، ٤٦،....
(٣٤) سورة فاطر، ٨.
(٣٥) ناصـر مـكارم الشـيرازي، الأمثـل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٢/١٤.
(٣٦) ظ: الطبري، تاريخ الطبري، ٣٣١/٤.
(٣٧) ألمجلسـي، بحـار الأنـوار، ١٠/٤٥. قال الزهري: (مـا بقي من قاتلي الحسـين إلا وعوقب في الدنيا، أمـا بالقتل أو العمى)، العلامة الحلي، منهاج الكرامة، ص٨٢.
(٣٨) ظ: لجنـة التأليف، أعلام الهداية (الإمام الحسين)، معاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط٦، بيروت، ٢٠٠٩.
(٣٩) سورة فاطر، ٨.
(٤٠) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٤/١٤.
(٤١) سورة هود، ٩١.
(٤٢) سورة إبراهيم، ١٢.
(٤٣) الميزان في تفسير القرآن، ٢٨/١٢.
(٤٤) عباس علـي عميد الزنجاني، العلاقة بين الدين والسياسة، ص٩٤.
(٤٥) محمـد علـي الحكيم، الفكر السياسـي المعاصر للشيعة الأمامية ،ص٣٥.
(٤٦) ظ: محمـد باقر الصدر، الإسـلام يقود الحياة، ص١٣.
(٤٧) سورة الحديد، ٢٥.
(٤٨) ظ: محمد كاظـم الفتلاوي، المرتكزات القرآنية للفكر السياسي الإسلامي، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، ص٢٢ .

شعلة
تنطفئ

القيم التربوية والأخلاقية

المستوحاة من نهضة الإمام الحسين(ع)

أ. م. د. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت تحمل في طياتها الكثير من المعاني السامية في جوانب الحياة المختلفة، ومنها الجانب التربوي، إذ خطت هذه النهضة العظيمة أروع السطور في الأساليب التربوية والقيم الأخلاقية التي رسمها بأنامله الشريفة لتكون نبراساً يقتدى به، فأراد أن يعمل على تحريك المشاعر بشتى الوسائل جاعلاً من توجهه نحو الله تعالى القاعدة الأساسية في أقواله وأفعاله وتقريراته.

ولا بد من الإشارة إلى أن الحسين عليه السلام في خطواته كلها منذ لحظة الانطلاق من المدينة المنورة إلى لحظة الاستشهاد، أعطى لنا منظومة تربوية وأخلاقية أخذ فلسفتها من كتاب الله تعالى ومن سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، حتى أصبح كما يصفه البعض أنه (قرآن متحرك داخل الأمة

الإسلامية).

والكل يعرف أن الحسين عليه السلام كان واثقاً من استشهاده وخسارته المعركة عسكرياً، لكنه كان واثقاً من العطاء التربوي والنفسي والفكري والعقائدي الكبير الذي سيقدمه في سفك دمه وفي قطع نحره الشريف.

فإنه اتخذ من نفسه مشروعاً تربوياً يعمل على إصلاح هذه الأمة تربوياً وأخلاقيا وقيمياً، لأنه يرى أن من واجبه كإمام مفترض الطاعة أن يضع نفسه بذرة خير داخل المجتمع الإنساني على وجه العموم والمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص.

وهناك الكثير من القيم التربوية والأخلاقية التي اعتمدها الحسين عليه السلام في فلسفة ثورته والتي نذكر منها ما يأتي:

١ـ الإرادة والإصرار والعزم:

يرى الكثير من علماء النفس أن الإرادة تحتل جزءً كبيراً في النجاح الذي يروم الإنسان إليه، ومن الواضح أن الحسين عليه السلام حين أراد الخروج من المدينة ومكة اعترض على خروجه العديد من الشخصيات وكان منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وأخوه محمد بن الحنفية وغيرهم الكثير ممن ذكرتهم كتب التأريخ التي دونت نهضته المباركة، فكان يمتلك إرادة قوية وعزما متيناً وبين جنبيه همة عالية جعلته يصر إصرارا كبيراً على ضرورة الخروج بالرغم من المصير المحتوم الذي يعرفه وما سيلاقيه هو وأهل بيته.

٢ـ الإصلاح:

إن الهدف الأساس الذي كان منشوداً من وراء هذه النهضة هو الإصلاح، وهذا ما صرح به الإمام الحسين عليه السلام في خطبته المشهورة التي يقول فيها: (إنما خرجت

لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر... الخ)، وقد أعطى عليه السلام لنهضته بعداً إصلاحيا وأراد من الأمة أن تنظر بعين البصيرة والبصر، لأن الواقع الحقيقي الذي تعيشه الأمة في ظل الحكم الأموي الجائر، لا يمكن تغييره إلا أن يكون هناك مصلحاً لا يعد شخصاً اعتيادياً بل يكون سيد هذه الأمة في زمانه، وإمامها في وقته، ومرجعها الديني والفكري والروحي والعقائدي، وملاذها عند الفتن والشدائد وهو من يتحمل المسؤولية الشرعية الملقاة على عاتقه إذ يرى نفسه ملزماً بهذا الإصلاح، ومن جانب آخر أنه كلما كان المضحي صاحب شأن، كلما كان صدى النهضة كبيراً ومدويا مع العلم أن الإصلاح قد لا يؤتي ثمره آنياً بل إن هناك أهدافاً إصلاحية بعيدة المدى تصلح لكل مكان وزمان، ستتحقق وإن طال أمد الجور والظلم والاستبداد.

٣ـ إيقاظ ضمير الأمة:

وكما يسميه علماء النفس والتربية ايقاظ الأنا العليا داخل الفرد وداخل الأمة والعمل على إعادتها إلى رشدها، والحقيقة أن الحسين عليه السلام أراد أن يعيد للأمة الإسلامية وعيها ويفيقها من غفلتها العميقة التي عمل الأمويون على زرعها في قلوب وعقول الناس.

وقد استخدم عليه السلام في هذا السبيل أسلوب الوعظ والنصيحة والتوضيح الكافي فضلاً عن تذكير الأمة مؤكداً أنه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث الفكر والعقيدة والروح والجسد آملاً في إرجاع الأمة إلى واقعها النفسي والعاطفي الأصيل عن طريق معرفة الشخص الذي تنوي قتاله.

٤ـ حرية المشاركة في الثورة:

أرسى الحسين عليه السلام مبدأ الحرية لكل فرد في المشاركة في قدومه إلى العراق، وفي طريق السير، وحتى قبل بداية الثورة بليلة واحدة، فهو يقول لمن معه: (أنتم في حل مني، إن القوم يطلبونني، هذا الليل اتخذوه جملاً...) فضلاً عن مقولته الشهيرة: (من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا) ومن الجانب العملي كان يرغب أن يكون أول من يواجه القوم أهل بيته وأقرباءه، لكن إصرار أصحابه ولصدق عزمهم وتفانيهم في الله تعالى وفي محبته، جعله يوافق على مطلبهم.

وفي الختام لابد من الإشارة إلى أن هناك الكثير من القيم التربوية والمثل الأخلاقية العليا التي حملتها نهضة كربلاء في طياتها قد لا يسع المجال لذكرها وبيانها وإيضاحها ■

صورة من الطف..

قال الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام): كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جملاً، فإن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حل وسعة.

فقالوا: لا والله! لا يكون هذا أبداً.

قال: إنكم تقتلون غدا كذلك، لا يفلت منكم رجل.

قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك. ثم دعا، وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا. فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان! وهذا قصرك يا فلان! وهذه درجتك يا فلان! فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة.

بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٩٨

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً».

عمدة الطالب ص:٣٥٦

الفلسفة العقدية لقيام الإمام الحسين(ع)

قراءة نقدية لمصطلح (الثورة الحسينية)

علي الفحام •

ينابيع يمثل الإمام الحسين عليه السلام وقيامه المقدس ركناً عقائدياً مهماً في منظومة العقائد الشيعية، ومن يدقق في الأحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام يجد كماً هائلاً من النصوص العقائدية والنصوص العبادية التي تناولت قضية الإمام الحسين عليه السلام وكشفت للجمهور الشيعي أن هذه القضية كانت نقطة تحول إستراتيجية في مسيرة الإمامة وقد أراد لها الله سبحانه وتعالى أن لا تكون انعطافة آنية ذات مفاعيل وقتية تتأثر بالتحولات التاريخية والتبدلات البشرية بل هي محور السياسة الإلهية في رسم الخارطة التاريخية المستقبلية التي يقوم على أساسها مشروع وراثة الأرض وما وعد الله به عباده المستضعفين (**ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**) القصص: من الآية ٥.

إن الثقل العقائدي والفكري الذي مثلته عاشوراء جعل منها ميداناً واسعاً للبحث والتنظير عقائدياً وسياسياً

وفلسفياً، وقد تناولتها أقلام حملت خلفيات فكرية متباينة ونبع مدادها من مصادر شتى للمعرفة قد تلتقي أحياناً وتبتعد أحايين أخرى عن المصادر المعرفية التي أمرنا أهل البيت عليهم السلام بالأخذ منها وشددوا على التقيد بها.

إن البحث في الفلسفة العقدية لقيام الإمام الحسين عليه السلام يفتح أمامنا نافذة من الأسئلة النّي تحدد الإطار العقائدي للقيام المقدس، أولها: ما شروط القيام والقعود عند أهل البيت عليهم السلام؟ ما التسمية الشرعية لما قام به الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء؟ وهل ثمة دليل على إطلاق اسم (الثورة) عليه؟ وهل يصح هذا المصطلح بحق هذا القيام المقدس؟ وما موقع عاشوراء في مشروع الإمامة ودورها الكوني في تحقيق هدف الأنبياء (ليقوم الناس بالقسط) الحديد: من الآية ٢٤؟

شروط القيام عند أهل البيت عليهم السلام

أجمعت النصوص الشريفة من الذين فرض الله طاعتهم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم (ولاة أمر الله) و(تراجمة وحيه) و(خزان علمه) و(القائمون بأمره) و(خلفاؤه في أرضه) و(نوره في السماوات والأرض)، ومن كانت هذه صفته فمن الطبيعي أن يكون فعله إنعكاساً لفعل الله تعالى وتكون إرادته نابعة من إرادة الله عز وجل، وهذا المعنى يتسع لكل عمل سواء كان عملاً لفظياً كالأقوال أو خارجياً كالأفعال والمواقف.

إن هذه القاعدة تؤسس لفهم واضح

لجدلية القيام والقعود عند الأئمة عليهم السلام، فالإمام ليس قائداً سياسياً أو ميدانياً تقليدياً حتى يبني حكمه على تحليل البيانات أو مقاربة المواقف وفق حسابات الربح والخسارة كما يفعل القادة والزعماء التقليديون، وإنما ينطلق تحركه أو سكونه من تحقيق (أمر الله) وتنفيذ (حكم الله) ثم لا تأخذه في الله لومة لائم ! فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي ١\ ٢٨: عن ضريس الكناسي (ولعله ابن عبد الملك أخي حمران وزرارة) ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر علي والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عز وجل وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: (يا حمران إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه، ثم أجراه فبتقدم علم ذلك إليهم من رسول الله قام علي والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منا).

لقد استشعر رسول الله صلى الله عليه وآله خطورة ما سيكون الأمر في عصر الفتنة وقيام الجهاز الأموي والقوى الارستقراطية باللعب على منظومة الوعي الشيعي فأسس صلى الله عليه وآله قاعدة مهمة في ما يتصل بمسألة القيام والقعود وعلاقته بدور الإمام وحركته وشرعيته، فقال صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، وهو من الأحاديث المشهورة التي أجمع الثقات والأجلاء من العصابة الناجية على روايته جيلاً بعد جيل وأرسلوه إرسال المسلمات لاشتهاره بينهم ووضوح صحته عندهم، فقد رواه المحدث الجليل ابن عقدة الكوفي (ت٣٣٣) في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ص١٦٣، والشيخ الصدوق (ت٣٨١) في علل الشرائع ١\ ٢١١، والخزاز القمي (ت٤٠٠) في كفاية الأثر بسندين أحدهما عن أمير المؤمنين عليه السلام والآخر عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، كما ذكره الشيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ٢\ ٣٠، والفتال النيسابوري (ت٥٠٨) في روضة الواعظين ص١٥٦، وابن شهرآشوب (ت٥٨٨) في مناقب آل أبي طالب ١\ ١٤٣، و الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨) بإعلام الورى ١\ ٤٠٧، وفي كشف الغمة لابن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣) ٢\ ١٥٦، وغيرها الكثير من المصادر في مختلف الطبقات، ويقول السيد الميلاني في شرح منهاج الكرامة: ١ / ١٣٨: (وممن رواه من أهل السنة: الصفوري في نزهة المجالس: ٢ / ١٨٤، والصديق القنوجي في السراج الوهاج في شرح صحيح مسلم في باب المناقب).

وقد سلط هذا الحديث الشريف الأضواء في أكثر من مكان محاولاً في مكان أن يربط المجتمع الشيعي بالأئمة عليهم السلام سواء أكانوا قائمين في دولة الحق أو خائفين في دولة الباطل، ومؤكداً في مكان آخر على عدم انتقاض شرعية الإمام عندما تحكم الظروف بانعزاله عن المشهد السياسي وتغييبه عن موقعه الشرعي في قيادة الأمة.

لقد مرت القواعد الشيعية بمراحل اختبار مثلت فيها عقيدة الطاعة في القيام والقعود محور الاحتكاك مع مستوى الوعي لدى الأفراد والجماعات الشيعية، وكان الرصيد التراكمي لوعي النخبة في حالة ازدياد طردي مع كل مرحلة يكشف فيها الإمام جانباً من الغيب أو بعضاً من العلل التي تحمل شفرة الحل لكثير من

العقد ذات البعد العقائدي والغيبي.

ولم تكن مهمة الأئمة عليهم السلام سهلة في تذويب هذه الأيديولوجيا داخل الذهنية الشيعية الفتية التي وجدت في تباين المواقف عند الأئمة حاجزاً ضبابياً أدى إلى تقليص مساحة الفرز العقائدي عند نسبة كبيرة من الطبقة الموالية لأهل البيت عليهم السلام. وانطلاقاً من فهمهم لطبيعة العقدة الفكرية والنفسية التي واجهتها القاعدة الشيعية فقد توسل الأئمة عليهم السلام بتوضيح (العلل الغيبية) و(السنن الإلهية) طريقاً لاختراق الحواجز التي أحاطت بالوعي الشيعي وكما يأتي:

أولاً: بين الأئمة عليهم السلام لشيعتهم أن من شروط القيام في علم الله تعالى توفر العدد المطلوب من المؤمنين المخلصين المطيعين المسَلِّمين لأئمتهم، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لشيعته عقيب أحداث السقيفة (والله لو تم عددكم سبعة رجال لما وسعني القعود عنكم) الهداية الكبرى ١٩٣، ولم يكونوا يومئذٍ إلا أربعة ! وقال الإمام الصادق عليه السلام لسدير الصيرفي لما سأله القيام وانتهاز الفرصة بعد سقوط الدولة الأموية: (والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود) الكافي ٢\٢٤٣، وقد عدها سدير فوجدها سبعة عشر جدياً ! واختلاف العدد يمثل الجانب الغيبي في هذا الشرط بحيث لا يعلمه إلا الله والإمام.

ثانياً: بين الأئمة عليهم السلام لشيعتهم جانباً من الحكمة الغيبية التي خفيت عنهم كما خفيت على موسى عليه السلام حكمة خرق السفينة من قبل الخضر عليه السلام، فقد سأل أبو سعيد عقيصا الإمام الحسن عليه السلام عن علة مصالحته لمعاوية فقال: (يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟) فأجابه الإمام عليه السلام بقوله: (يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا، سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل) علل الشرائع ١\٢١١، وفي رواية أخرى قال لهم الإمام الحسن عليه السلام: (والله الذي عملتُ خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت)، بحار الأنوار ٤٤\١٩.

ثالثاً: بين الأئمة عليهم السلام لشيعتهم أن بيعة الإمام من أهل البيت عليهم السلام لطاغية زمانه تعد مانعاً شرعياً له من القيام، ولذلك فإن من جملة العلل المذكورة لغيبة الإمام المهدي عليه السلام أنه يخرج حين يخرج وليس لأحد من الطواغيت بيعة في عنقه، (راجع: كمال الدين ص٤٨٥).

الإمام الحسين عليه السلام وفلسفة القيام

لم تكن مسيرة الإمام الحسين عليه السلام في صراعه العقائدي مع الطواغيت مختلفة عن سيرة أبيه وأخيه، فقد جلس في بيته واعتزل الحياة السياسية طيلة السنوات العشر من حكم معاوية بن أبي سفيان بعد استشهاد أخيه أبي محمد عليه السلام سنة ٤٩هـ، بل كان يأمر شيعته بأن يكونوا أحلاس بيوتهم حتى يهلك معاوية (الأخبار الطوال للدنيوري ص٢٢٠)، وبالتأكيد فإن هذا الموقف كان نابعاً من القاعدة العقائدية

التي أسسنا لها وهي أن الإمام إنما يقوم أو يقعد بأمر وعلم من الله تعالى دون الاعتماد على الحسابات الآنية أو النظرة السياسية الضيقة.

عندما هلك معاوية سنة ٥٩هـ تغير التكليف الشرعي للإمام الحسين عليه السلام فقد كان الإمام عليه السلام مأموراً بالجهاد وتحمل مسؤولية القيام ضد حكومة يزيد وريثة الحكومات المغتصبة للإمامة، ويبدو من خلال الظاهر أن شروط القيام قد تحققت بأجمعها ؛ فالإمام لم يعط البيعة ليزيد لعنه الله، وقد توفر لديه العدد المطلوب من المؤمنين المخلصين الذين يستأنسون بالمنية دونه ويقدمونه على النفس والأهل والولد، ولذلك جاءه الأمر الإلهي (أن اخرج [بقومك] إلى الشهادة، فلا شهادة لهم إلا معك، واشتر نفسك لله عز وجل) و (إن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة) علل الشرائع ص٤٦٨ ، ص٢١٧، الكافي ١\٢٨٠.

لقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام أن خروجه كان بأمر وقضاء محتوم من الله عز وجل محاولاً توجيه الوسط الشيعي نحو ترسيخ المفهوم الولائي في تعاطيه مع الإمام عليه السلام، ويبدو من النصائح التي قدمتهما بعض الشخصيات الكبيرة في بني هاشم كابن الحنفية وابن عباس أن الوسط الشيعي حتى ذلك القريب نسباً من الإمام لم يكن ذائباً في الفهم القرآني الصحيح لطبيعة العلاقة بين المؤمن وإمامه، (فما كان لمؤمن ولامؤمنة) أن يقدم النصائح والتوجيهات لإمامه بل عليهم هم أن يتسلموا النصح والأوامر من الإمام وأن لا يُخضعوا تلك الأوامر لمجهر النقد والتمحيص بل أن يتقيدوا بها (ويسلموا تسليماً) كما يسلم العبيد لله تعالى دون تردد أو تأمل.

ويبدو أن الإمام الحسين عليه السلام قد استعمل مزيجاً من الشحن العقائدي والعاطفي في محاولة لتوجيه الرأي العام الشيعي نحو الحقوق السليبة لأهل البيت عليهم السلام وما يمكن أن يصدر من الأعداء من خروقات خطيرة لشريعة وسنن الله تعالى، فقد قال عليه السلام في وداعه الأخير لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قبيل خروجه من المدينة: (يا أماه قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً) بحار الأنوار ٤٤\٣٣٢، وقال عليه السلام لأصحابه عندما صلى بهم الغداة صبيحة يوم عاشوراء: (اشهد أنه قد أذن في قتلكم فاتقوا الله واصبروا) كامل الزيارات ١٥٣.

لقد دأب كثير من الكتاب والمفكرين المعاصرين على استعمال مصطلح (ثورة الحسين) أو (الثورة الحسينية) في وصفه لقيام الإمام الحسين عليه السلام، وتكمن مشكلتنا في أن التقليد طغى على كثير من مساحات التفكير عندنا بحيث أصبح الخروج عن المألوف مساوياً للخروج عن الجادة وضرباً من خرق النواميس والثوابت! ونحن نحاول – في هذه القراءة النقدية - أن نناقش بهدوء صحة هذا الاصطلاح من عدمه وأين تكمن مواضع الاعتراض عليه ونجعل الكلام في مجموعة من النقاط:

أولاً: إن مصطلح (الثورة) لم يرد مطلقاً في أي نص من النصوص الشرعية للأئمة عليهم السلام عند حديثهم عن قيام الإمام الحسين عليه السلام، وكان مصطلح (القيام) هو الاصطلاح

الشـرعي والتوصيف العقائدي الوارد في النصوص والآثار الشريفة، فالحسن والحسين إمامـان (قامـا) أو قعـدا، وسـمعنا الإمـام الباقر عليه السلام يقول بتقدم علم من رسول الله (قـام) علي والحسـن والحسين، على أن اصطلاح الثورة كان موجـوداً في تلك الحقبة وهـو ليس اصطلاحاً حداثوياً حتى يمكن القول بـأن زمان الأئمـة لم يكن مشتملاً على هذا المصطلح، يقول الإمام الصادق عليه السلام في وصفه لبعض أحداث ظهـور الإمام المهدي عليه السلام (ويثور الثائر، ويهلك الكافر) غيبة النعمانـي ٢٨٣، أي أن اصطـلاح (الثورة) ومشتقاته كان جارياً على لسان الأئمة ومع ذلك لم يستعملوه في توصيف حركة الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: إن مصطلح الثورة في الاشتقاق اللغـوي تعني حالـة من الهيجـان والوثبة والغضب وما يتعلق بها من معان، (فالثائر: سـاعة ما يخرج من التراب. والنافر: حين نفـر، أي وثب. وثار به النـاس، أي وثبوا عليه. يقال: انتظر حتى تسكن هذه الثورة. وهي الهيج.. وثار ثائـرة، أي هاج غضبه) الصحاح للجوهري ٢\٦٠٦، و(ثار الشـئ ثورا وثؤورا وثورانا وتثور: هاج... والثائر: الغضبان، ويقـال للغضبان أهيج ما يكون: قـد ثار ثائره وفار فائـره إذا غضب وهاج غضبه) لسـان العـرب ٤\١٠٨، (والثور: المجنون، وفي بعض النسخ: الجنون) تاج العروس ٦\١٥٤ .

ثالثاً: الثورة (Revolution) في الفقه ا لسيا سـي والقانونـي هي (قلـب نظام حكـم قائم) "المعجـم القانونـي لحـارث الفاروقي ج ق٢\٦١٢"، وقـد راج هـذا المفهـوم في الأوساط السياسـية إبان الثورة الفرنسية والثـورة الأمريكيـة، ولعبت الماركسـية والاشـتراكية العالميـة دوراً مهمـا فـي نشـر الايديولوجيا الثوريـة بين أنصارها باعتبارها طريـق التغيير المنشـود وأداة الطبقـة العاملـة وطبقـة البروليتاريا نحو اختراق المجتمعات البرجوازية، وقد آمن ماركس أن الانقـلاب الثوري هو من أهم القوانين التي تسيطر على التاريخ البشري كله (اقتصادنا ص٧٥).

إن التمعن في الجذر اللغوي أو المفهوم السياسـي للثورة يجد أنهـا بعيدة كل البعد عن القيام المقدس للإمام الحسـين عليه السلام، فلم يكن هـدف الإمام الحسـين عليه السلام قلب نظـام حكم مسـتبد كمـا تفعـل الثورات التقليدية، ولم يكن قيامه المقدس هيجاناً وغضباً آنيـاً كرد فعل لتصرفات حمقاء أو

قوانين تعسفية أصدرتها حكومة يزيد بن معاوية، إن القضية أعمق من هذا بكثير، والهدف أعم وأكبر من الانقلاب السياسي الذي توحيه لفظة الثورة.

إن الكثير من الباحثين ممن يطلقون كلمة ثورة يعتقدون حقاً أن الهدف الأكبر للإمام الحسين عليه السلام لم يكن الإطاحة بحكومة يزيد وأن ثمة قيماً أخلاقية حاول الإمام الحسين عليه السلام إحياءها في المنظومة الإسلامية، إلا أن الاعتراض عليهم يبقى قائماً حول كلمة الثورة لفظاً ودلالة، أما لفظاً فقد عرفنا لغوياً وتاريخياً وسياسياً أنها ليست من القاموس الفكري لأهل البيت عليهم السلام وأنها صُدّرت للحالة الإسلامية والشيعية من المدارس السياسية العلمانية، وأما دلالة فلأننا ذكرنا وسنذكر المزيد أن حركة الإمام الحسين ليست رد فعل على واقع فاسد وانحراف الحكم السياسي فقط وإنما جاءت عاشوراء ضمن حركة الإمامة ومسيرتها المقدسة في إقامة حكم الله في الأرض، وهي حركة تكاملية تعزز ما قام به الإمام أمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام وتؤسس لحركة الأئمة المعصومين بعد الإمام الحسين سلام الله عليهم أجمعين، فلا يجوز اختصار قيام الإمام عليه السلام بثورة أخلاقية سياسية تهدف إلى رفع الظلم ومناهضة الطواغيت المعاندين بحيث أصبحت عاشوراء رمزاً لمقارعة الظلم ومنهجاً للأحرار (وقدوة للمضطهدين على وجه البسيطة والمعذبين تحت نير الطغاة)؟!! ونحن بكل احترام نسأل هؤلاء الأخوة من الكتاب والمؤرخين والمفكرين: أليس جلوس الإمام السجاد عليه السلام في بيته مقارعة للظلم؟! ألم يكن سكوت الإمام الباقر عن حقه منهجاً للأحرار؟! أليس التزام الإمام الصادق بالتقية وإفطاره في شهر رمضان تقية من السلطان الجائر قدوة للمضطهدين؟! ألم يكن صبر الإمام الكاظم رمزاً للمعذبين تحت نير الطغاة؟! ألم يكن قبول الإمام الرضا مكرها تحت حد السيف لولاية العهد رمزاً للتضحية وحفظ المبادئ؟! ألم تكن تقية الإمام الجواد عليه السلام من المعتصم العباسي منهاجاً للشبيبة الشيعية الواعدة؟! أليس حرص الإمامين العسكريين على حفظ دماء شيعتهم يعد أنموذجاً للقيم العليا ومشعلاً لكل الشرفاء في العالم؟! فالملاحظ أن الأئمة عليهم السلام من الإمام السجاد وحتى الإمام الحسن العسكري لم يلتزموا منهج العمل الحركي المسلح أو الفعل الجماهيري الميداني طريقاً لمناهضة الطغاة والمطالبة بحقوقهم، وكان سكوتهم وقعودهم تكليفاً شرعياً بإذن الله تعالى وجزءاً من العمل الإلهي لإصلاح الناس ونشر القسط والعدل محل الظلم والجور، ولذلك لا بد من ملخص واضح يضع النقاط على الحروف فنقول بعد الاتكال على الله تعالى:

إن كل واحد من الأئمة يمثل رمزاً لمقاومة الظلم والانحراف ومقارعة الفاسدين والمستكبرين وإن رمزية الاقتداء يجب أن تسري لكل مواقف الأئمة عليهم السلام مع حفظ خصوصية الغيبة الكبرى التي نعيشها، فنحن في هذا العصر الذي نعيشها بانتظار إمامنا المهدي عليه السلام ملزمون بالتقيد بما صدر عن أئمتنا من توجيهات قيدت الجمهور الشيعي بالكف والصبر وعدم القيام إلى أن يأذن الله تعالى لوليه بالفتح المبين وقيامه بالسيف لإكمال مشروع الأئمة عليهم السلام في إقامة القسط والعدل وإماتة

البدع وإسقاط الظلم والجور.

وحتى لا يسيء أحد فهم هذه السطور نقول زيادة في التوضيح: إننا لا نقول إن الإمام الحسين عليه السلام لم يرفض الظلم ولم يكن قدوة للمستضعفين ونبراساً للمضطهدين في سيرهم نحو تحقيق العدل الإلهي، بل نقول: إن منهجية رفض الظلم كانت بالمستوى نفسه عند جميع الأئمة عليهم السلام على حد سواء بلا فرق بين من قعد منهم أو قام، ولهذا لا ينحصر منهج الاقتداء في مقارعة الظلم بالطريق "الثوري" والعمل الميداني والصِدام المباشر مع القوى الطاغوتية كما توحيه التنظيرات الشيعية الحديثة لقضية عاشوراء خصوصاً مع كثرة استعمالها لمفردة (الثورة الحسينية) في أدبياتها العقائدية – السياسية، إنما الواجب أن نتعامل مع مسألة القيام والقعود بمنظور أنه تكليف شرعي متى التزمنا به كان منا جهاداً فإذا كان الواجب القيام مع الإمام فالجهاد هو القيام وإذا كان الأمر أن نقعد مع الإمام في دولة الباطل فالقعود هو الجهاد، وكل ما يطلق على قيام الإمام الحسين عليه السلام من عبارات "ثورية" وتوصيفات تعبوية توظفها الأدبيات العقدية ذات الطابع السياسي نحو إثراء المد الشبابي للحركة الشيعية كل هذه الأمور يجب أن تطلق بالقوة ذاتها والمستوى نفسه على (منهجية التقية) التي سار عليها الأئمة بعد الحسين عليه السلام وأمروا شيعتهم بالتقيد بها حتى يومنا هذا، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا محمد إن الميت منكم على هذا الأمر شهيد، قلت: وإن مات على فراشه؟ - قال: (أي والله، وان مات على فراشه، حي عند ربه يرزق) وعن أبان بن تغلب قال: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا ذكر هؤلاء الذين يقتلون في الثغور يقول: (ويلهم ما يصنعون بهذا؟ يتعجلون قتلة في الدنيا وقتلة في الآخرة، والله ما الشهداء إلا شيعتنا و إن ماتوا على فراشهم) المحاسن ١٦٤\١، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (المؤمن مجاهد، لأنه يجاهد أعداء الله عز وجل في دولة الباطل بالتقية، وفي دولة الحق بالسيف)، وقال عليه السلام: (ولا يحل قتل أحد من الكفار والنصاب في التقية إلا قاتل أو ساع في فساد وذلك إذا لم تخف على نفسك ولا على أصحابك، واستعمال التقية في دار التقية واجب ولا حنث ولا كفارة على من حلف تقية يدفع بذلك ظلماً عن نفسه)، وعن الرضا عليه السلام قال: (لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية، قيل: يا بن رسول الله إلى متى؟ قال: إلى قيام القائم، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا) وسائل الشيعة ٢٠٩\١٦-٢١١ ■

من أعلام قرّاء ومؤلفي المقتل الحسيني..

السيد محمد تقي بحر العلوم

(١٣١٨ - ١٣٩٤هـ)

حيدر المجد •

ينابيع

اعتادت مدينة النجف الأشرف شانها شان المدن الإسلامية الأخرى في كل عام على إحياء مراسيم عاشوراء حتى أصبح كل بيت عبارة عن مأتم ترتسم فيه صور الحزن وملامح الكآبة بحيث لا يستطيع الإنسان مهما كان صبوراً إلا أن يتفاعل معها فلا ينفك حتى يرسل الدموع.

وقد مثلت المجالس الحسينية التي تقام خصوصاً في العشرة الأولى مدارساً سنوية كانت ولا تزال تشد الناس وتجعلهم يتفاعلون مع أحداث كربلاء وكأنها نصب أعينهم وليس بينها وبين الحاضرين ألف وأربعمائة ونيف من السنين ولا كونها تُعاد بصورة دورية كل عام فتولد الملل عند السامعين وما هذا إلا النصر الذي وُعِدَ به الإمام الحسين عليه السلام حيث الحراك والديمومة في الذكر والباعث المحفز الآني للتواصل مع نهضته عليه السلام.

وكانت لخطباء المنبر الحسيني حصة الأسد كما يقال من هذه المجالس فهم الدعاة الذين ضحوا بكل ما لديهم من

أجل نشر الفكر الحسيني الأصيل وربط الجماهير عقائدياً وعاطفياً مع النهضة الحسينية لكي يبقى المجتمع يستلهم المواقف المشرفة فيبقى سامياً بين المجتمعات الأخرى، آخذاً بأسباب العيش الكريم، ومع وجود هؤلاء الخطباء فقد جرى التقليد أيضاً في إقامة مجالس علمائية سنوية تعقد خصيصاً في العشرة الأولى من المحرم لقراءة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، حيث يرتقي المنبر فقيه من الفقهاء، ويشرع بالقراءة في وريقاته الخاصة، مقسماً مجلسه على عدد أيام العشرة وربما يتعدى العشرة إلى الثلاثة عشر حيث دفن الأجساد الطاهرة في كربلاء، ومن هؤلاء النخبة الصالحة برز السيد محمد تقي بحر العلوم، قارئاً حافظاً مجيداً، متكئاً على خلفية علمية راسخة، متمعناً في تمحيص واختيار الروايات التاريخية، مع قابلية على إعطاء الحدث حقه من التوضيح والتبيين.

لنسلط الضوء على حياته الكريمة ثم لنبين قصته مع المقتل من خلال ما كُتب عن ذلك.

هو السيد محمد تقي بن السيد حسن بن السيد إبراهيم بن السيد حسين بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي الحسني النجفي.

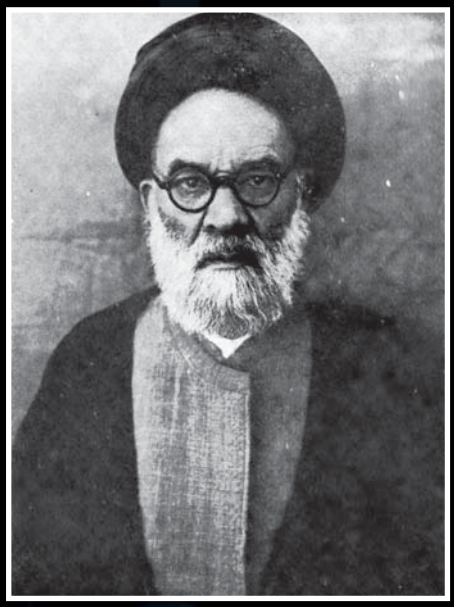

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٨ هـ في محلة المشراق حيث منازلهم المعروفة منذ عهد جدهم سيد الطائفة السيد بحر العلوم (ت١٢١٢هـ) ولحد الآن.

نشأ على يد والده السيد حسن الذي كان شاعراً معروفاً كما كان جده السيد إبراهيم من شعراء النجف المشهورين، بل من شعراء العراق وديوانه الشعري المعروف بديوان السيد إبراهيم الطباطبائي يشهد بشاعريته وملكته العالية في صياغة قصائده وفق ذوق عربي رفيع.

أساتذته

قرأ المقدمات الأولية الأدبية والشرعية على : الشيخ مهدي الظالمي، والشيخ قاسم محي الدين، والشيخ علي ثامر، والشيخ محمد تقي آل صادق، والسيد محسن القزويني، والشيخ رفيع الرشتي، والسيد هادي الصائغ، أما السطوح الفقهية والأصولية فقد حضر على السيد محسن الحكيم والسيد محمود الشاهرودي، ثم حضر الأبحاث العالية عند: الميرزا محمد حسين النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والسيد عبد

الهادي الشيرازي، ثم لازم الشيخ محمد رضا آل يس، بعدها استقل بالبحث والتدريس وتخرج عليه جمع من الأفاضل، كما حصل على إجازة بالرواية من آغا بزرك الطهراني، وكان من أئمة الجماعة حيث كان رحمه الله يقيمها في الأوقات الثلاثة في مسجد الطوسي الملاصق إلى دور أسرته ومقبرتها.

وقد تتلمذ على يديه ثلة نخبة من العلماء منهم: الشيخ محمد تقي الجواهري والسيد موسى بحر العلوم والشيخ محمد تقي الأيرواني والشيخ عيسى الطرفي والسيد ضياء الدين بحر العلوم والشيخ هادي القرشي والشيخ يونس المظفر والشيخ محمد آل راضي والسيد محمد علي الحمامي والشيخ حسين زايردهام والسيد محمد الصافي البصري والشيخ جعفر الصائغ وولده السيد حسين بحر العلوم .

كان ورعاً تقياً فهو اسم على مسمى كما يقال فقد نُقل لي: (أن أسرة السيد قدس سره كانت لا تجد من المال ما يسد الرمق حيث كان يأبى أن يأخذ من الحقوق الشرعية إلا النزر اليسير جداً مقارنة مع حالة أسرته الضعيفة)، كما كان قدس سره خفيف المؤنة كثير المعونة مع إباء حسني انتقل إليه من الأصلاب المطهرة والأرحام الطاهرة.

مؤلفاته

مقتل الحسين عليه السلام، شرح كتاب بلغة الفقيه، رسالة الأحكام، تعليقة على مكاسب الأنصاري، تعليقة على رسالة أستاذه الشيرازي، تعليقة على وسيلة النجاة، تقريرات أساتيذه.

توفي رحمه الله في النجف يوم الاثنين ٢٢/ جمادى الآخرة/١٣٩٤هـ ودفن بمقبرة أسرته في جامع الطوسي[1].

مشروع كتابة المقتل

لكل فكرة تبرز على أفق العقل الإنساني ترتسم معها طريقة للتنفيذ والإظهار من نطاق العقل المحدود إلى فضاء الفكر المفتوح حيث تسطرها الأقلام على الصفحات أو تعلنها الألسن، وهذا بعينه ما جرى للسيد التقي حيث لامست فكرة قراءة المقتل أولا خواطره ثم تحولت إلى كتابة مقتل كامل ثم أخرجها إلى الوجود نجله السيد حسين بحر العلوم قدس سره، لنقرأ معاً ما كتبه السيد حسين من مذكرات حول المؤلف والكتاب: (قبل أكثر من أربعين عاماً-على ما أتذكر- وأنا يومئذ لم أتخط العقد الأول من العمر كنت أشاهد بعض العلماء والفضلاء المشار إليهم بالبنان –آنذاك- أنهم من علية الحوزة وطلائع المرجعية يجتمعون في بيت سيدنا الوالد قدس سره عصر كل يوم من أيام عشرة المحرم للتداول أو التناوب في قراءة التعزية على صفحات كتب المقاتل المعدة لهذا الشأن كالإرشاد والإيقاد ومثير الأحزان ونحوها، وغالباً ما كان يقع الاختيار من أولئك الجماعة على ثلاثة أو أربعة أشخاص- كان من بينهم السيد الوالد- وربما كانت حصته من مجموع العشرة أيام أكثر من حصص الباقين، لبعض المؤهلات التي كان يمتاز بها طلاقة بيان وشجاوة أداء وحسن اختيار (الكتاب)، والموضوع الذي تفرضه المناسبة المألوفة من أيام العشرة.

وهكذا ينصرم العام الأول بمنطلق

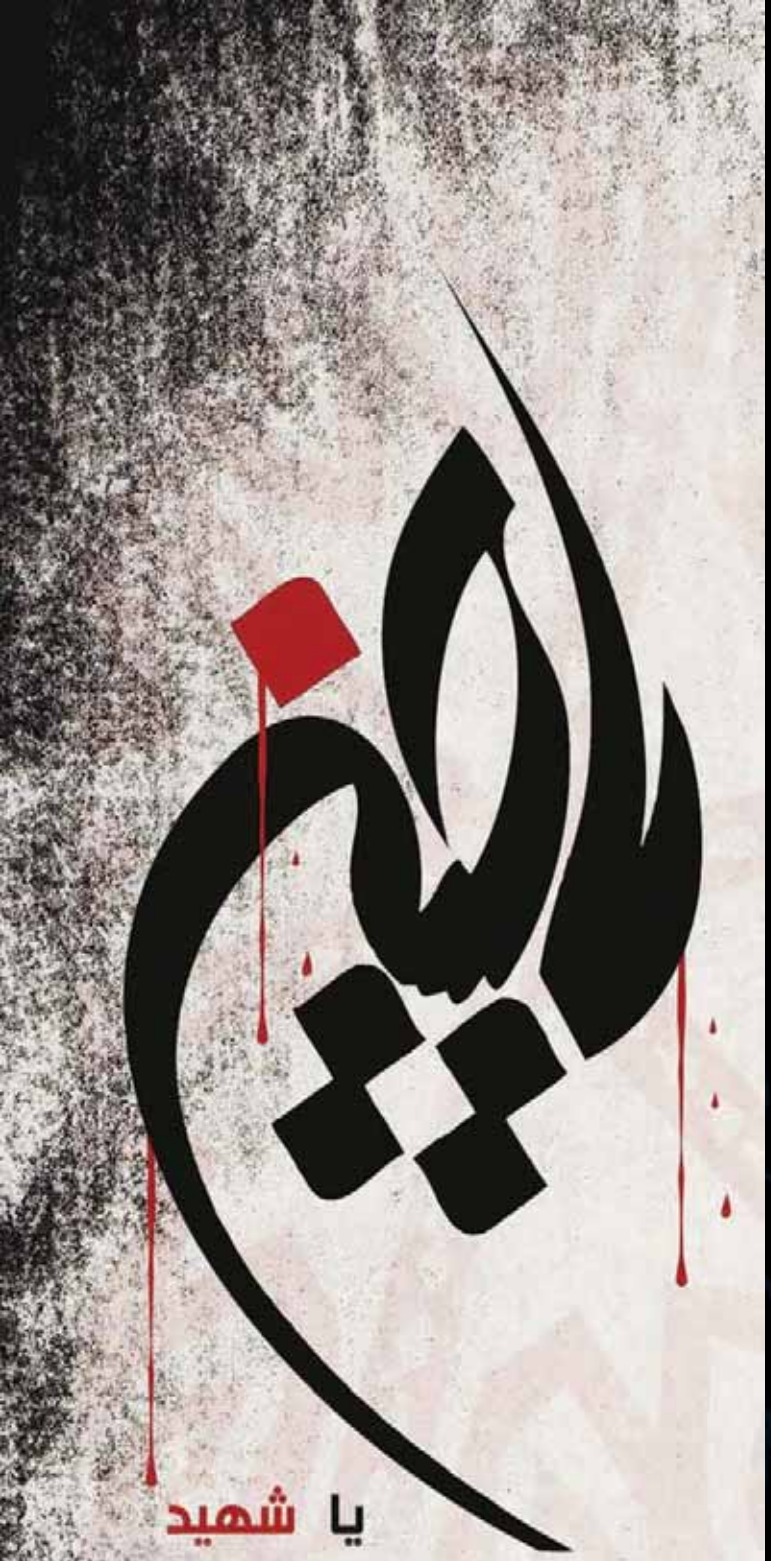

الفكــرة والتأســيس البدائــي بذلك الشكل العفوي، والتباني المرصــود من أولئــك الجماعة علــى أن يعتبر هذا العــام نواة تحضيرية للأعوام الآتية.

ويجيء دور الذكرى الثانية مــن العام التالي، وإذا بســيدنا الوالد من أنشــط الجماعة على اســتقبال شــهر المحرم وتبني إقامة (المجلس) فيه.

فما حــان الموعد المرصود من عصر اليوم الأول من عشرة المحــرم غــلا واكتــظ مجلس أولئــك الجماعــة وغيرهم من نظرائهم في غرفة متواضعة من بيتنا المتواضع أيضا، ينتظرون مــن ســيكون الفاتــح والبادي الأول لقــراءة (المقتــل) فلــم تعدو آراء الجميع سيدنا الوالد واختيار أن يكون هو المضطلع ـ وحده ـ بقراءة التعزية واختيار الكتــاب الذي يراه مناســباً في مختلف أيام العشرة.

وفعلاً قام سيدنا المغفور له بذلك الدور المشــرف بأحسن قيام، فلــم يعين للقــراءة وقتاً واحداً لجميع أيام العشــرة، بل ربما كان يقرأ اليومين والثلاثة في كتاب، ويبدله بآخر، وثالث فــي بقية أيــام العشــرة، حتى انتهــى العــام الثاني مــن إقامة المجلس بهــذا ونحوه، من غير تحضير مســبق لتعييــن الكتاب الذي يقرأ فيه.

ويقــارب موعــد المجلــس

من العام الثالث، وإذا بي أرى بين يدي سيدي الوالد دفتراً صغيراً وهو يكتب فيه ما يستخلصه من بطون كتب الأخبار والتاريخ والسير، ليعده رصيداً بدائياً لما سيقرءوه في مجلسه الحولي.

ويطلع علينا هلال المحرم من هذا العام بأحزان عاشوراء وينتصب المجلس-بعد الغروب بساعتين- بدلاً من وقته العصري، في ساحة الدار الواسعة بدلاً من (الغرفة الصغيرة) كل ذلك لاتساع الأفق وزخم الحضور.

وتكامل المجلس واكتظت ساحة الدار وغرفها، وقرب موعد القراءة، ونصب منبر متواضع في أحد الجوانب، وإذا بسيدنا الوالد رحمه الله يرقى ذلك المنبر وبيده (الدفتر الصغير) فيبدأ بالقراءة بشكل غير مألوف في الأعوام السابقة، إنه يبدأ بتلاوة بعض الآيات البينات من الذكر الحكيم، وثنى بعرض بعض الأحاديث النبوية وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام كل ذلك في نطاق الوعظ والإرشاد ومواضيع دينية، ومعارف إسلامية بناءة وبعد ذلك واصل قراءة الموضوع المناسب في التعزية على ضوء ما تقتضيه المناسبة الحاسمة لذلك اليوم، وختم المجلس بأبيات رثائية لبعض الشعراء المجيدين من قدماء أو معاصرين، وهكذا ينفض المجلس وينقلب الحاضرون عن عظة وبكاء وأجر وثواب، وبهذا ونحوه تواصلت حلقات المجلس الليلية حتى نهاية المطاف من نهاية العشرة من المحرم في ذلك العام.

وظل سيدنا الوالد- بعد ذلك- يواصل التزامه الحثيث بإقامة (مجلسه الحولي) طيلة سنوات حياته، بدا بذلك المنطق البسيط -كما ذكرنا- حتى اتسع مجاله واستطالت ظلاله في السنوات الأخيرة من حياة الوالد-رحمه الله- فكان يعد من أروع وأضخم المجالس الحسينية المقامة في النجف الأشرف أيام عشرة المحرم لما كان يتمتع به من روحانية عالية وإخلاص وتوجه وواقعية واضحة، فكان مزدحما، بمختلف الطبقات الاجتماعية والعلمية وربما قصده الناس من خارج النجف وضواحيها للحضور والاستفادة، والتبرك والاستشفاء.

وكنت ألمس من سيدنا الوالد- طوال تلكم السنين- مزيد العناية والاهتمام البالغ بإقامة (المجلس) ورعايته، حتى انه في بعض السنوات مرض مرضاً شديداً بالحمى العنيفة، وصادف ذلك قبيل شهر محرم، الأمر الذي اقتضى طبيبه المعالج أن يفرض عليه الراحة وعدم الكلام الكثير فتم البناء على ترك قراءته بنفسه في هذا العام وإناطة ذلك إلى بعض المتفوقين من خطباء المنبر الحسيني ـ كما هو المألوف في المجالس العامة ـ .

وقبل حلول المحرم بليلة واحدة إذا بسيدنا الوالد ينشط ويعزم على تولي القراءة بنفسه- على عادته في كل عام- بالرغم من تفاقم مرضه وضعف مزاجه، فسُئل -وكنت من بين السائلين- عن السبب الذي حدا به أن يغير رأيه بهذه العجالة، ويخالف رأي طبيبه له بالراحة والاستجمام، فكر لنا ـ بعد الإلحاح عليه بالسؤال ـ بعض الأسرار العجيبة التي كان يلمسها ـ من خلال إقامته لهذا المجلس ـ ومن ذلك ما كان رآه قبل هذه الليلة في عالم التجلي والأحلام بهذ المضمون التالي: إنه رأى فيما يرى النائم وكأنه في الحرم

العلوي المطهـر، وكان الليلة هي الأولى من المحـرم، وكان المكان الشـريف قد اكتظ بالأشـباح النورية والأرواح القدسية مـن أنبياء وأوصياء وعلماء وصلحاء، وفي وسـط تلك الأشباح المقدسـة من حيث يلي الرأس الشريف- أشباحاً خمسة تمثل أهل العباءعليهم السلام وهي أكثر سطوعاً من بقية الأشباح الأخر، وكأن عامة الحاضرين في حالة حـزن وكآبة وانتظار من يعتلي منبراً منصوبـاً هناك ليفجر الدمـوع من ينابيع القلوب الحزينة، فبينمـا هم بهذا ونحوه إذا بالأمـر النبـوي يصـدر مـن الجانب الأقدس مشيراً إلى سـيدنا الوالد ـ وكان فـي ذلـك المحضـر المكـرم ـ أن يعتلي المنبر المنصوب المتجلل بالسواد، ويقرأ التعزية بذلك الشكل المألوف الذي اعتاده كل عام في مجلسه البيتي، فلم يجد سيدنا الوالد بـدأ مـن الإطاعة، فقـرأ التعزية المألوفة، فضج المحضر الشريف بالبكاء والعويل وسالت الدموع كل مسيل.

وهكـذا انتهت قصة الرؤيـا التي هي أشـبه بالإيحاء النفسـي مما دعا سـيدنا الوالـد أن يواصل قـراءة التعزية من أول ليلـة من المحرم حتى أخـر ليلة من ختام العشرة، لكنه شوفي من مرضه خلال أيام العشـرة ببركة سيد الشـهداء الحسين بن عليعليه السلام.

ولـم يزل رحمه الله مواظباً على إقامة المجلس وقراءة (المقتل) بنفسه، حتى في أخريـات أعوامه التي لازمـه فيها مرض الموت، فربما كان يقرأ بعض أيام العشرة وبصـوت خافـت، وكنت أنـوب عنه في

الأيام الأخر التي لا يستطيع القراءة فيها، وكثيراً ما كان يوصيني- في أيام صحته وأيام مرضه الأخير- بالمواظبة على إقامة المجلس بذلك الشكل المألوف).

كتاب مقتل الحسين عليه السلام

من يستعرض كتب المقاتل المكتوبة يجد اليوم عدداً كبيراً منها في المكتبات وعلى صفحات الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، ويجد بالذات مقتل السيد محمد تقي بحر العلوم بين تلك الكتب، لنمضي مع السيد حسين أيضاً في حديثه حول بداية هذا الكتاب حيث يقول: (إنه ذلك الدفتر الصغير الذي لا يتجاوز (١٥٠ صفحة) من القطع المتوسط ولقد اطلعت على ذلك المجموع أخيراً بعد وفاة سيدنا الوالد-رحمه الله- فوجدته بحاجة إلى تبويب وتنسيق وتخريج مصادر وبعض الإضافات في أصل المجالس حيناً ومثلها في ثناياها-أحياناً وغير ذلك من الملاحظات اللازمة لأي كتاب يمثل للطبع ولم يكن يدور في خلد مؤلفه أن يطبع.

فعمدت ـ مستعيناً بالله ـ إلى توفير ما يحتاجه الموضوع ليتكامل بعض الشيء فجاء بحمد الله بعد تلك الجهود المتواصلة التي أخذت مني وقتاً غير قصير كتاباً قيماً لا ريب فيه، ويستحق أن يعيش العمر المديد على صفحات الأجيال الخالدة بحكم موضوعه وأسلوبه الواضح وجمعه المتكامل وخلوه إلى حد ما من سقطات التاريخ وهنات المؤرخين وسميناه (مقتل الحسين أو واقعة كربلاء) ورتبناه وإن كان في أصله غير خال من بعض الترتيب إلى مجالس عشرة بحكم اقتضاء الموضوع، انطلاقاً من المدينة طلائع الواقعة إلى كربلاء نهاية المطاف.

وموجز محتويات مجالسه العشرة لو استثنينا مقدماتها من آيات وروايات كما يلي:

المجلس الأول: في فضل البكاء والرثاء وعقد المجالس الحسينية.

المجلس الثاني: في ذكر ما دار بين الحسين عليه السلام ومعاوية من مناقشات ورسائل حول اخذ البيعة ليزيد.

المجلس الثالث: استدعاء الحسين عليه السلام لبيعة يزيد بعد موت معاوية وامتناعه من البيعة وخروجه من المدينة إلى مكة.

المجلس الرابع: عرض خروجه من مكة ووصوله إلى كربلاء.

المجلس الخامس: خروج مسلم بن عقيل في الكوفة ومقتله فيها.

المجلس السادس: نزول الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء وعرض مواقفهم المشرفة.

المجلس السابع: عرض مبارزات ومصارع العباس بن علي عليه السلام وأشقاءه الثلاثة من أم البنين.

المجلس الثامن: مبارزة علي الأكبر والقاسم وعموم بني هاشم من آل علي وجعفر وعقيل.

المجلس التاسع: عرض مواقف الأنصار البطولية ومبارزاتهم ومصارعهم يوم الطف.

المجلس العاشر: مبارزات الحسين عليه السلام ومصرعه في ميدان الحق[٢] ■

---

(١) الفتلاوي، المنتخب من رجال الفكر والأدب، ص٤٠٩.

(٢) بحر العلوم، مقدمة كتاب مقتل الحسين عليه السلام.

صورة من الطف..

أقبل شمر بن ذي الجوشن حتى وقف على معسكر الحسين (عليه السلام) فنادى بأعلى صوته: أين بنو أختنا عبد الله وجعفر والعباس وعثمان؟! بنو علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟ فقال الحسين (عليه السلام) لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنه من أخوالكم (باعتبار أن أمهم أم البنين والشمر من بني كلاب).

فنادوه فقالوا: ما شأنك وما تريد؟ فقال: يا بني أختي! أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية! فقال له العباس بن علي: تباً لك يا شمر! ولعنك الله ولعن ما جئت به من أمانك هذا، يا عدو الله! أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد ونترك نصرة أخينا الحسين (عليه السلام)؟!

فرجع الشمر إلى معسكره مغتاظاً.

مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٦

ثورة الإمام الحسين(ع).. دروس وعبر

محمد دعيبل •
كاتب وإعلامي

ينابيع (**كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء**). كلمة تعبّر عن حقيقة تاريخية هامة لا مجال فيها للشك والارتياب، كما أنها قابلة للتكرار دوماً في كل واقع وزمان.. وهذا ما أثبته لنا التاريخ. فلقد تحولت ملحمة كربلاء إلى مسيرة ثورية امتدت مع الزمن، كما امتدت إلى آفاق بعيدة أو قل: إنها بالفعل سارت في البعد الزمكاني لتتحدى كل الثورات وتضفي على جسدها حلة حمراء تشير إلى تلك الدماء الزاكيات التي سالت على ثرى الطف لتنبت بذلك شجرة الحرية.

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وذلك لأن لكل شعب أو أمة رموزاً في مختلف مرافق حياتها.. وكل رمز من هذه الرموز يقوم بوظيفة تجميع وتركيز التجربة في المرفق الخاص به. وملحمة كربلاء تحولت إلى رمز للثورة الأصيلة التي جمعت في واقعها كل شروط وعوامل وخصائص الثورة الإسلامية بل هي أساس لكل ثورة حق قبال الباطل، لقد استوعبت

هذه التجربة كل دروس الرسالة السماوية عبر التاريخ، حتى في غير مجال الثورة فيما يتعلق بسائر مجالات الحياة، والسبب في ذلك بسيط وواضح جداً، وهو أن قلم الصراع هو أفضل قلم يكتب بحبر الدم على لوح الزمن ما لا يمكن للمتغيرات أن تنل منها شيئاً. وحينما يترسخ مبدأ وتتكرس عقيدة تتجذر قيمه بدماء الشهداء في أوج المعركة بين الجاهلية والإسلام، فلابد أن يبقى ذلك المبدأ وتبقى تلك العقيدة راسخة شامخة دائماً وأبد الدهر.

وكربلاء ليست مدرسة للبطولة الثورية والجهاد الميداني فحسب وإنما هي أيضاً مدرسة لبطولة الإنسان حينما يخرج من ذاته، من شح نفسه من حدوده الضيقة ليملأ الدنيا شجاعة وبطولة فهي في الواقع قد حملت معنى المفهومين الجهاد الأكبر والأصغر... كربلاء مدرسة الوفاء، مدرسة التبتل والضراع، مدرسة الحب والتضحية، مدرسة العلم والتقوى، مدرسة التوبة والمغفرة فضلاً عن كونها مدرسة الجهاد والاستشهاد.

وبالتالي فان كربلاء رمز لكل ملحمة.. وبذلك أصبحت مسيرة خالدة وشمساً تسطع بنورها الوهاج لتهب الحياة للجميع. إذ أننا حينما نجدد ذكرى الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه المستشهدين في أرض كربلاء في سنة (٦١هـ)، فإننا نتذكر أيضاً ملحمة مسلم بن عقيل في الكوفة، وملحمة الحسين الشهيد، صاحب فخ بين

مكة والمدينة، وجهاد الأبطال من أبناء الإمام الحسين عليه السلام، وأبناء زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، وبالتالي فإننا نتذكر مكابدة كل الثائرين عبر تاريخنا المليء بدم الثوار، والمضوّع بأجساد شهدائنا الطاهرة.

من هنا أصبحت [كل أرض كربلاء] و[كل يوم عاشوراء]، لأن عجلة كربلاء طوت بعدي الزمان والمكان كما ذكرنا. وتعظيمنا نحن الأمة الإسلامية الثورية وتقديرنا وتكريمنا لهذه الملحمة، إنما هو تكريم لكل ثورة رسالية أصيلة، ولكل دم زكي طاهر أريق في أية ثورة بل إن من الأصح أن نقول " كربلاء هي التي تكرمنا إن ذكرناها وهي التي تخلدنا قبل أن نخلدها". وإذا ما أردنا أن نتكلم عن شيء من فلسفة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وهو أمر أكدت عليه الشريعة المحمدية والسنة النبوية المقدسة وما البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بوسيلة للعجز. كما أن حزننا لا يعد يأساً وأداة للانطواء إنما هو أمل يفتح لنا الطريق واسعاً، ويسد أمامنا أبواب الخزي والتخاذل والغرور والخداع الذاتي..

إن بكاءنا تنديد بالظلم، وعويلنا وصراخنا إنما هو صراخ الضمير الحر والحي النابض في وجدان أمتنا، وصراخ النفس الأبية ضد العبودية والطغيان. وبالتالي هو ثورة بحد ذاته على الفساد المنتشر في أنحاء الارض.. وتكريمنا للشهداء معراجنا إلى ذلك المستوى الأسمى الذي بلغه هؤلاء الأبرار. إنهم مدرّسونا، فنتعلم منهم كيف ننتصر على ذواتنا، ونصل إلى مستوى آبائنا وأسلافنا الذين ذهبوا شهداء في طريق الحق. وإليك عزيزي القارئ قسماً من دروس عاشوراء وإلا فالإحاطة بكل ذلك أمر متعسر للغاية لقصور العقل بأن يدرك كل أبعاد الثورة ومعطياتها.

أولاً: خط الثورة ومقارعة النظام الفاسد:

خط الثورة كان أبداً قاطرة التقدم للأمم، وطريقاً لتبديد سبات الإنسان، وخروجاً عن الجمود، وانطلاقاً نحو بناء المستقبل، بينما كان خط الأنظمة الفاسدة خطاً مضاداً لهذه الحركة التقدمية عبر التاريخ، ومن هنا فإن هناك ثقافتين تتراوحان في الحركة الاجتماعية..

ثقافة الأنظمة التي تتمحور حول شرعية المؤسسات الجامدة الرجعية القائمة، وثقافة الشعوب.. ثقافة الثورة التي تعطي الشرعية لبناء المستقبل. وعاشوراء في تاريخنا الإسلامي تؤكد شرعية الثورة، وتعطينا بداية للعمل الثوري كون الحق لا يبتدأ مرحلته بالاستسلام والصمت، والذل والخنوع، وانما يبدأ بالرفض. انظر إلى كلمة التوحيد فإنها تبدأ بحرف [لا] إذ إنها تطهر القلب من الشرك لكي يستعد

فيما بعد لأن يستلهم الفيوضات الإلهية والرحمات الربانية. وحينما نقول:

(**لا إله إلا الله**). إن هذه العبارة التي تجسد تكريساً للرسالات السماوية، فكل الأنبياء عليهم السلام بعثوا لكي يكرسوا خط الحنفية البيضاء. أي: الرفض لكل ما هو شرك وفساد وانحراف، وخط الرفض هذا الذي انبعث في الأمة الإسلامية كان موجهاً ضد الخارج، أي ضد من سموا بالكفار والمشركين والجاهليين، لأن حركة الفتح الإسلامي المتصاعدة منذ بداية الهجرة تقريباً وحتى سنة (٦١هـ) والتي كانت تتلاطم كأمواج البحر تتوسع في سرعة هائلة، وجهت رفض الأمة وتمرد الجماهير وثورة الشعب ضد الفساد الاجنبي في الارض، ولذلك كانت كل البطولات التي سجلت في تاريخنا الإسلامي قبل ملحمة كربلاء موجهة لأعداء الأمة الخارجيين، وليس ضد الانحراف الداخلي الذي كان ينخر في أعماق الأمة الإسلامية، وفي نفس الوقت كانت النفوس الأبية والروح المتعطشة للشهادة والقلوب الملتهبة إيماناً وحماساً من أجل الدين، كانت تترك داخل البلاد وتتوجه إلى الفتوحات الإسلامية خارجها حتى أصبح المثل الأعلى للشهيد هو أن يقتل في حدود الأمة الإسلامية، أما داخل الدولة فكانت عربدات معاوية ومفاسد يزيد، وجرائم زياد وابن زياد، وتحريفات سمرة بن جندب، ومن أشبه هي الرائجة، وبلغ الانحراف الذروة داخل كيان الأمة الإسلامية العملاق حتى يكاد يسقط بسبب تلك الأرضة التي كانت تنخر في العصى التي تعتمد وتتكئ عليها الأمة لولا ملحمة الإمام الحسين عليه السلام وشرعية الثورة.

بلى لولا سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام والذي بعث من وادي كربلاء صرخة دوت عبر التاريخ الإسلامي، وصنعت بطولة من نوع جديد جسدت فلسفة الشهادة وروح الرسالة وحماس التضحية من أجل الله في الثورة التحررية داخل الأمة الإسلامية في مقاومة الانحراف الداخلي. وبالتالي حافظت على عمق هذه الشجرة. لذلك لو قيل إن شجرة الإسلام قد سقيت بدم الحسين بن علي عليه السلام، فان ذلك ليس جزافاً، فلولا هذا الدم لما قام للإسلام عود، وبيد أن الشجرة قد نمت بدماء الشهداء الأولين كجعفر بن أبي طالب وحمزة سيد الشهداء في عصرهم، إلا أن أرضة الفساد في هذه الأمة كاد يؤدي بهذه الشجرة إلى السقوط، فجاء دم الإمام الحسين عليه السلام ليصحح هذا الخلل ويقطع شجرة الفساد من الاصل ويحل بدلها شجرة الاصلاح والفلاح ماؤها دماء الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ملحمة كربلاء رمز البطولة

من هنا جاءت ملحمة كربلاء لتقسم البطولة إلى قسمين:

النوع الأول: البطولة في الدفاع عن الثغور:

الدفاع عن الأمة الإسلامية خارجياً حيث صبغت البطولات الافق بالدم لتحرر البشرية من نير الاستعباد وتدافع عن نبتة الإسلام الوليدة، وكانت هذه التضحيات تقع على تخوم ومشارف وثغور الدولة الإسلامية.

النوع الثاني: بطولة التصحيح الداخلي:

التضحية لزرع الثقافة الرسالية الثورية في العمق الإسلامي. فبطولة من أجل تحرير الآخرين. وبطولة أخرى من أجل

حرية الأمة الإسلامية ذاتها.

ومن هنا نستطيع أن نؤكد بأن ملحمة كربلاء أعطت شرعية للثورة ولبطولاتها وللشهادة من أجلها. وبعد كربلاء وجدنا بأن كل الحركات التحررية بلا استثناء من الخوارج إلى حركة الزيدية، إلى حركة الإسماعيلية وإلى حركة القرامطة وإلى كل الحركات داخل الأمة الإسلامية كانت تحاول أن ترتبط بخيط يمدها إلى كربلاء. وأن تستلهم من معركة الإمام الحسين عليه السلام دروسها. وأن تغذي أبناءها بروح البطولة المنبعثة من وادي كربلاء، هكذا كانت ثورة الإمام الحسين تمتاز بصفة العطاء وهكذا أصبحت مسيرة ثورية أخترقت حاجز الزمان والمكان.

ثانياً: حضارة الأمة والضغط الخارجي:

على طول تاريخ الأمة الإسلامية التي دخلت الآن في السنة الثامنة بعد الاربعمائة والالف من بداية انطلاقها بعد الهجرة، على طول هذه الحقبة الزمنية تعرضت أمتنا لضغوط حضارية شديدة جداً كادت تذوب بسببها.

إن هذه الضغوط الحضارية لم تكن خطيرة في الجانب العسكري، لان أمتنا قد تحصنت منذ البدء بفلسفة الشهادة التي لا يخشى عليها من الذوبان العسكري، ولم تكن اقتصادية الاتجاه، لان أمتنا لم تعتمد على محور المال والثروة والاقتصاد. بل تمحورت حول قيمة الحق. لذلك لم تكن الضغوط الاقتصادية قادرة على تذويب أمتنا عبر التاريخ، ولم تكن الضغوط الاجتماعية كذلك، لأن أمتنا تدرعت بدرع حصين من الروابط الاجتماعية المتينة. بل كانت تلك الضغوط ثقافية، الثقافة التي تتسرب كالماء تدخل في عمق القواعد الارضية للامة، وتفسد جماهيرها ثقافياً وفكرياً بطريقة أو بأخرى. هذا الضغط كان أشد خطراً من ألف سيف بل مائة ألف سيف بل مليون سيف وعلنا نطلق على ذلك بالغزو الثقافي.

إذن كيف نحافظ على أمتنا من خطر هذا الغزو عبر التايخ. والجواب على ما نعتقد هو مجالس الذكر.

لا ريب أن العلماء الأمناء على حلال الله وحرامه هم أول من حافظ على هذه الثقافة، وأول من ضحى من أجلها. فحينما كانت ورقة الكتاب تهمة تكفي لإعدام

كاتبهـا، وحينمـا كانت الدنيـا تضيق بأهل العلم الحقيقيين ولا تزال. حينئذ كان المنبر الحسيني وجلسـات الذكر ومواكب العزاء كلها أداة لتمد الجماهير بثقافة رسـالية حية صافيـة نقية بعيدة عن الرواسـب الجاهلية وعن الافـكار المسـتوردة. وحينما دخلت ملحمة عاشوراء وعي الأمة الإسلامية، فإننا لم نكن نخشى من انهيار ثقافي لأن عاشوراء ركيزة ثقافية قوية تركزت في عمق الإنسان المسلم كون كل إنسان مسلم لاسيما الفرد الرسـالي يعيـش في قلبه خريطـة مصغرة لكربلاء ومنـذ نعومة أظفـاره. ويحمل في قلبـه شـخصية الإمـام الحسـين عليه السلام وأهل بيته وحتـى ذلك الطفل الرضيع الذي أعدم رمياً بالسـهام في أرض كربلاء بعد أن ذاق الأمرين من العطـش والحر، إنه هو الآخر يعيش مثلاً للبراءة.. ومثلاً للبطولة في قلب كل إنسان مسلم بل تعدى الامر إلى من يدين بغير الإسـلام فهذا غاندي يؤكد في أقواله علـى أنه لـم ينتصر إلا بالحسـين عليه السلام وقد يتعدى ذلك أيضاً لأن يتأسـى بالحسين عليه السلام من لا دين له فينتفض في داخله ولعله يصحح مسـاره فثـورة الإمام الحسـين عليه السلام لم تكن تختص بفئة دون أخرى أو بزمان دون آخر كما تقدم، ومن هنا أصبح المنبر الحسيني وما يرافقه من وسـائل اعلامية - واستخدم هنـا كلمة المنبر بمفهومه الشـامل - أصبح درعاً للامة الإسلامية من الهجمات الثقافية الخطيرة ولا يزال. ولابد لنا أن نستلهم حقيقة مفادها "الشـعائر الحسينية وبكل مسمياتها هي الشـريان النابض لجسد الأمة وحصنها المنيع مـن أن تتأثـر بما اسـميناه بالغزو الثقافي".

ثالثـاً: الثـورة انتفاضـة إنسـانية وحقيقة تاريخية:

إن قيمة كربلاء وملحمتها الثورية ليست فقط في إنها كانت ثورة، بل لانها ثورة في ثـورة، وتغيير وتصحيح لمسـار الثورات وحـركات التغييـر، انظروا إلـى التاريخ الإسـلامي لتجدوا كم من ثـورة انحرفت إلـى فوضى، وكـم من ثـورة تحولت إلى حزبيـة ضيقة، وإلـى ديكتاتورية ارهابية، وكم من ثورة نسيت أهدافها وتحولت إلى ثورة مضادة حينما وصلت إلى السلطة.

ضمانات استقامة الثورة

أولاً: الابتعاد عن الأهداف الدنيوية:

لو قلبنا صفحـات التاريخ وقرأنا عن

القرامطة في العالم الإسلامي لتبين لنا أنهم كانوا ثوريين، لكن ثورتهم انطلقت من دوافع الثأر والانتقام والبغضاء والحقد، ولكن انظروا إلى الإمام الحسين عليه السلام كيف يعلمنا دروس الثورة، ففي صورة من صور كربلاء يبكي الإمام الحسين عليه السلام بكاءً عالياً وينشج بصوت رفيع، فيسأله أحد أصحابه، يابن رسول الله لماذا تبكي هذا البكاء العالي وأنت الحسين بن علي البطل الشجاع الذي خططت من أجل أن تستشهد في سبيل الله؟ قال: نعم ليس بكائي لنفسي ولا لأهل بيتي، وليس لهؤلاء القتلى من حولي. وإنما بكائي لأجل هؤلاء القوم الذين سيدخلون النار بسببي!!

كان يبكي لأعدائه، ويحاول قدر جهده أن ينصحهم ويهديهم طريق السبيل والرشاد، وكان من أجلهم يحارب، ولو تسنى للحسين عليه السلام أن ينتصر لفعل بهم ما وعد والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يفعل بمن أرادقتله وهو (ابن ملجم) قال: إذا أنا شفيت من هذه الضربة فسوف أعفو عنك. الثورة يجب أن تكون بعيدة عن الحقد الأسود، وإلا فإنها تتحول إلى ثورة مضادة، لأن الثورة يجب أن تقوم على منهج الله الحكيم، وإلا ستصبح شركاً!! الثورة يجب أن تكون من أجل الله لا من أجل الذات ولا من أجل الشهوات.

ثانياً: التزام الهدف الأخروي:

الإمام الحسين عليه السلام سار وهو يعلم أنه سيقتل، فإن ثورته لم تكن طلباً للمنصب. ولا بحثاً عن سلطان ولا من أجل العلو في الأرض، وهو الذي كان يكرر قوله تعالى: (**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**)، بل خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة المكرمة إلى أرض كربلاء وهو يقول ويكرر قوله "ما خرجت أشراً ولا بطراً ولكنما خرجت طلباً للإصلاح في أمة جدي".

رابعاً: الثقافة الرسالية قاعدة الثورة:

إن الثقافة الرسالية التي حاول الإمام الحسين عليه السلام وسعى من أجل بثها في الأمة الإسلامية عشر سنوات قبل قيامه عليه الصلاة والسلام بثورته المباركة. كانت القاعدة التي يجب أن تنبعث منها الثورة. ولو انبعثت من غيره هذه الثقافة الرسالية لتعرضت لانحرافات ونكسات خطيرة.

ومن هنا تجد في خطب الإمام الحسين عليه السلام وأدعيته يوم عاشوراء - قد كررها أكثر من خمس مرات - أنه لم يكن يتحدث عن القضايا السياسية فحسب، وإنما كان يركز على القضايا الايدلوجية، وعن التوحيد، وعن الاتصال بالله سبحانه وتعالى.. لأن هذا هو الأساس وهذا هو الهدف.

خامساً: عاشوراء وتجديد الذكر:

إننا يجب أن نحيي ذكر الإمام الحسين عليه السلام، لأن أية أمة اذا أرادت النجاح والانتصار، فلابد أن تحضر في تاريخها، وأن يكون تاريخها حاضراً في واقعها. يجب أن نكون نحن في تاريخنا، لنكتب بروح عصرنا بمشاكلنا وبأوضاعنا وبتطلعاتنا السامية، وبمعنى نكتب من جديد، ونكتب حياتنا به. لذلك نحيي ذكر الإمام الحسين عليه السلام لتكون نوراً على مر كل السنين، ولتكون بطولاته نبراساً مضيئاً ولتكون حياتنا - اليوم - ومشاكلنا طريقاً لفهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحياته وثورته.

إنك لا تستطيع أن تفهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام إلا بعد أن تفهم شبكات

المؤامرات التي أحاطت اليوم بنا، لأن هذه الظروف هي التي توضح لنا كيف قام الإمام الحسين عليه السلام، كما أننا لا نستطيع أن نكسر الطوق المحيط بنا إلا إذا عرفنا كيف نستطيع تجديد وأعادة ملحمة كربلاء إلى واقعنا.. نحن اليوم في عالمنا الإسلامي وبالذات في العراق نحتاج إلى ملحمة من نوع ملحمة كربلاء، وإلا فإن هذا الإرهاب ووسائل القوى الوحشية ستنال من ثورة هذا الشعب. إن شياطين الأرض تجتمع ـ الآن ـ من أجل محاصرة الرسالة الإسلامية، ومن أجل تصفية الحركات الإسلامية. هذه الحركات المستضعفة النابعة من وضع اقتصادي، ثقافي، اجتماعي، سياسي، عسكري.. متخلف، فكيف يمكن لهذه الحركات أن تنتصر على تلك المؤامرات، وتلك الشبكة الواسعة من الخطط الاستعمارية؟ والجواب إنها تستطيع الانتصار فقط بالطريقة الحسينية.السبيل الوحيد للتخلص من قبضات الكبت والإرهاب الوحشية، إنما يتسنى بتفجير ثورة دائمة.. هي الثورة الحسينية.. ولذا ضحى اثنان وسبعون إنسان على تقدير كتاب التاريخ والسير من أجل بقاء الملايين من البشر ليرسموا لهم كيفية العيش بحرية.

ووصيتي لكل ذي لب سواء كان من الخطباء أو القراء في الأماكن الحسينية في كل مكان ليتخذوا ويتخذ أصحاب المجالس، بل أقول لتتخذ الأمهات الحواضن في البيوت والآباء والأخوات من قضية الإمام الحسين عليه السلام منبراً ومنطلقاً لتعميق جذور الثورة في النفوس

إن الحديث عن عاشوراء حديث ذو شجون وذو أبعاد مختلفة نتناول منه ما يكون أنفع وأحسن دواء لمشاكلنا، ولأمراضنا وبعد كل ما قيل نستطيع أن نصل إلى حقيقة مفادها " الثورة الحسينية كتربة الإمام الحسين عليه السلام دواء لكل داء" ■

عاشوراء

فضل زيارة الحسين (عليه السلام)

«عن بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ربما فاتني الحج فأعرف عند قبر الحسين (عليه السلام).

قال: أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبلات، وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة متقبلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل.

قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟

قال: فنظر إلي شبه المغضب ثم قال: يا بشير إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين (عليه السلام) يوم عرفة واغتسل في الفرات ثم توجه إليه، كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها ولا أعلمه الا قال: وغزوة».

كامل الزيارات ص:٣١٦

قصيدة:

لهيب الخيام

علي الصفار الكربلائي •

نـارٌ، صُـرَاخٌ، دِمـاءٌ مَوجُها ارْتَفَعا ... هُنا الخِيامُ، هُنا وَصْـلُ الهُدَى قُطِعا
هُنا تَـطُـوفُ السَّما فَـخْـراً بِـأَخْـبِـيَـةٍ ... فِيها الـسَّـلامُ بِفَيضِ الـدَّمِّ قَـدْ صُنِعا
هُـنـا الـمَـعَـالـي وَلِـلأَطْـنـابِ عِـزَّتُـهـا ... وَمَـنْ أَتـاهـا على كَنزِ الـمَـدَى رَبَعا
وَمَـنْ رَمَـاهـا بِـنـارِ الـحِـقـدِ خَـامَـرَهُ ... زَهْـو الحَياةِ فَما أَنْ طـارَ قَـدْ وَقَعا
هـذي الخِيامُ لِسَقْفِ الكونِ أعمِدَةٌ ... وسَقْفُها عِندَ عَـرْشِ اللهِ قَـدْ وُضِعا
مـا زَادَهـا لَـهَـبُ الـنِّـيـرَانِ غَـيـرَ سَناً ... والنَّهْبُ أَقْـعَـى، على أعتابِها رَكَعا
ماضَرَّها الليلُ، مَـا أَخْـفَـى مَعَالِمَها ... فَالصُّبْحُ بِالسِّبطِ في سَاحَاتِها طَلَعا
فَـبِـالْـمُـخَـيَّـمِ آثَـارٌ لِـثَـورَتِـهِ ... لِـمْ لا وَمِـنـهُ هَـديـرُ الـحَـقِّ قَـدْ سُمِعا
فـي كُـلِّ وَقْـتٍ لَـهُ تَـرتِـيـلَـةٌ رُفِـعَـتْ ... فـي كُـلِّ شِـبْـرٍ طَـهُـورٍ وَردُهُ زُرِعـا

* * * * * * * *

هُـنـا حُـسَـيـنٌ مَـلا الـدُّنْـيـا تَـهَـجُّـدُهُ ... والهاشِميُّونَ صَـوتٌ بِالهُدَى صَدَعا
هُنا حَبيبٌ، زُهَـيـرٌ، عَـابِـسٌ هَتَفُوا ... لَـبَّـيـكَ يـادَاعـيَ الـتَّـوحـيـدِ مُتَّبَعا
هُـنـا دُعـاءٌ وَتَـرتِـيـلٌ وهَـمْـهَـمَـةٌ ... دَمـعٌ، وداعٌ، وِصَـالٌ عِـقْـدُهُ انْقَطَعا
حَيثُ الـرَّبـابُ تُناغي طِفْلَها سَحَراً ... والصُّبْحُ سَهْمٌ وَمِـنْ نَحْرِ النَّدَى رَضَعا
والأَكـبـرُ الـنَّـجْـمُ ليلى لاتُـفَـارِقُـهُ ... طَيفاً يَـلُـوحُ بِـأُفْـقِ الـرُّوحِ مُـذْ صُرِعا
وقـاسـمٌ زُفَّ لِـلـمَـيـدانِ مُـؤْتَـلِـقـاً ... وَقَـلـبُ رَمْـلَـةَ أَضـحـى بَـعـدَهُ شِيَعا
ولـلـجِـراحِ هَـديـرٌ مِـنْ سَكِينَتِها ... فَعَمُّها الـبَـدرُ وِتْـرٌ بِـالـدِّمـا شُفِعا

وَما نَساها أَبُو الفَضْلِ الَّذِي عَرَفَتْ ... رَوَّى ظَماها مِنَ الدَّمِّ الَّذِي نَجَعا

وَزَينَبٌ لَهفَ نَفسِي وَهيَ حائِرَةٌ ... ما حالُها وكَفيلُ الخِدرِ قَدْ هَجَعا

تَرْنُو إليهِ فُراتُ الدَّمِّ غَسَّلَهُ ... والعَينُ تَهمِي وَكَفّا جُودِهِ قُطِعا

وعادَ شَمسُ سَماها وَهْوَ مُنْكَسِرٌ ... وَمُذْ رأتْهُ وَحِيداً قَلبُها فُجِعا

وبعد هذا حَدِيثٌ سَوفَ أُجْمِلُهُ ... كَفُّ الرَّزايا لِأَبوابِ الُهدى قَرَعا

فَرَبَّةُ الخِدرِ سارتْ وَهيَ حَاسِرَةٌ ... عَنها خِمارُ بَناتِ الوَحيِ قَدْ نُزِعا

طَوَتْ جَوانِحُها جُرحاً أَلَمَّ بِها ... لَو أدرَكَ الطَّودَ بَعضٌ مِنهُ لاَتَّضَعا

لكنَّها زَلْزَلَتْ مِنْ هاهُنا أُمَماً ... فَعَرشُ أهلِ الهَوَى مِنْ صَوتِها انْصَدَعا

هُنا طَغى الليلُ حِيناً ثُمَّ أَردَفَهُ ... سَهْمُ الكِفاحِ بِصُبحٍ فَالتَوَى جَزِعا

هُنا مُخَيَّمُ آلِ المُصطفى وَكَفى ... بِهِ الفَضائِلُ طُرّاً والنَّدَى نَصَعا

العِزُّ والمَجْدُ والإيثارُ مَوضِعُهُ ... اللهُ أَكبرُ في ساحاتِهِ رُفِعا

وَالفَجرُ ما أَقْسَمَ الباري بِه أَبداً ... لَو لَمْ يَكُنْ لَيلُهُ في كربلا انْقَشَعا

* * * * * * *

نبوءة زينب عليها السلام.. بخلود الحسين عليه السلام

فلاح العلياوي •

ينابيع

لقد سجل التاريخ بأحرف من نور تلك الكلمات الهادرة التي أطلقتها عقيلة الطالبيين زينب بنت علي عليها السلام، بوجه يزيد في مجلسه، لتصك بها مسامعه، بل صمَّ صداها آذان الدهر، تتردد عبر الأجيال، لتهتز منها عروش الطواغيت في كل الأعصار والأمصار.

بتلك الكلمات وقفت تجسد موروث أسلافها بكل شموخ وعزة وعنفوان، رغم ما أرادوا لها من ذل وهوان، لتذل المتجبر وتمرغ أنف المتكبر، ولتقرع بسوط كلماتها ظهور الظالمين، ولتصرخ بوجه العتاة المردة، لتلقي خطابا مدويا، يشعرك كل حرف منه كأنه سهم يمزق الضمائر المتعفنة.

ومن بين ما قالت في خطبتها العصماء، هذه العبارات العميقة، مخاطبة يزيد: (...فَكِدْ كَيْدَكْ وَاسْعَ سَعْيَكْ، وناصِبْ جُهْدَكْ، فو اللّهِ لا تمحُ ذِكرنا، ولا تميتُ وَحْينا، ولا تدركُ أمَدَنا، ولا ترحَضْ عنكَ عارُها، وهل رأيُك إلا فَنَدْ، وأيامُكَ إلا عَدَدْ، وجمعُكَ إلا بَدَدْ، يَومَ يُنادي

المُنـادي ألا لعنةُ اللهِ علـى الظالمين)[1]، يلاحظ القارئ أن امرأة أسيرة قتل إخوتها وأبناؤهـا وأنصارهم ومُثِل بأجسـادهم، وسيقت مع النساء والأطفال سبيّة من بلد إلـى بلد، ثم تقف أمام الطاغية في قصره لتطلق كلمات التحدي بوجهه غير آبهة به، وبما سيؤول إليه مصيرها.

حتـى قال قائـل: (والله لـم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسـان أمير المؤمنين عليه السلام)[2].

يقـف المـرء واجما مذهـولا متحيرا من هـذه الكلمـات التي تدل علـى الثقة اللامتناهيـة التـي تحملها هـذه المرأة، وتزداد الحيـرة والعجب حينمـا يرى أن هـذه الكلمات لـم تكن آنيـة ليزيد وحده وتنبئ بمستقبله، بل استشرفت المستقبل لـكل من نصـب العـداء لآل محمد وجند طاقاته لمحاربتهم، أنه سـيؤول إلى ذات المصير الذي سـيلاقي يزيـد. أو بتعبير أدق نسـتطيع أن نقول وبكل ثقة إن زينب أعطتنـا معادلة حسـابية أو أعلمتنا سـنة تاريخيـة، مفادها: أن مـن أراد أن يمحو

ذكر محمد وآل محمد عليهم السلام وإماتت نهجهم وإنهاء مستقبلهم، فنتيجته أن يرد كيده في نحره، متقهقرا بالعار والشنار، وفساد رأيه، واندثار فكره وحياته، وبقاء محمد وال محمد وفكرهم ينمو وشيعتهم يتكاثرون إلى آخر الزمان، ويبقون في الضمائر الحية خالدين، وليختمها ظهور قائمهم (عجل الله فرجه) ليأخذ بثأر جده الحسين عليه السلام، وليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن تملأ ظلماً وجوراً.

وقد رأينا كيف تحققت نبوءة زينب بهلاك كل الذين حاربوا الحسين عليه السلام وشيعته منذ يزيد والحكام الأمويين مرورا بالعباسيين والعثمانيين وحتى صدام وحزبه الكافر، وظلت تلاحقهم وصمة العار وبئس عقبى الدار، في الوقت الذي ظل فكر الحسين عليه السلام ونهجه منارا تهتدي به الأجيال،منتشرا في كل بقاع الأرض، وبدل أن يكون زائر الحسين واحدا بعد استشهاده وهو جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، رأينا كيف صارت الملايين تزحف نحو قبر الحسين عليه السلام تجدد له البيعة وتؤكد انتماءها له، رغم أنوف الظالمين، متحدية كل إرهاب المتجبرين، وقد قدمت في سبيل هذا النهج بحورا من الدماء.

ولكن يبرز سؤال : من أين جاءت زينب بهذه الثقة الكبيرة، لتطلق مثل هذه النبوءة؟

هل هذا الكلام هو رد فعل لما أصابها، أم هو انفعال عاطفي ؟ أم أنها قالت دون إدراك لما تقول؟ (حاشاها).أم أن ما قالت ينم عن وعي وإدراك وإيمان بقضية حتمية ونبؤة لابد أن تتحقق ؟

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات لابد أن نبين أمران :

الأول: خلود الرسالة الإسلامية :

إن مرور أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن على بقاء الرسالة الإسلامية، كدين معلوم تدين به شعوب بأكملها، لهو دليل واضح على خلود هذه الرسالة، وبقاءها ما بقي الدهر، رغم ما أصابها من زلازل وكوارث، كاغتيال قادتها الربانيين، أو حجبهم عن الزعامة الدنيوية لتنفيذ هذه الرسالة في الأمة، ورغم ما تعرضت له من أعداء الدّاء حاقدين جندوا طاقات هائلة في سبيل محوها، ولكنهم.... باؤوا بالفشل !، فلم يستطيعوا محوها، وليس ذلك فحسب، بل لم يستطيعوا الوقوف أمام زحف انتشارها، حيث أخذت تنتشر هذه الرسالة في كل بقاع الأرض، إذ لم يبق مكان في الأرض إلا وصلته الرسالة الإسلامية، (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**) {الصف:٩}.

نعم، استطاعوا أن يحرفوا مسيرتها التي رسمها الله لها، بيد أن ذلك الانحراف كان مكشوفا ومعروفا وواضحا، لدى الأمناء الذين اختارهم الله لحملها وكلفهم بحفظها بعد رحيل النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، فقد قيض الله لهذه الرسالة أمناء هم عترة النبي صلى الله عليه وآله، ورثوا علمه وفهمه ليحافظوا عليها وعلى نهجها السوي الذي أراده الله لها، والتزموا بذلك النهج هم ومن تبعهم، وقدموا دماءهم وأبناءهم وأموالهم، في سبيل ديمومة هذه الرسالة رغم وجود أغلبية منحرفة سارت في ركب المحرفين، وقد وعدهم الله بنصره، (**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ**

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) {النور:٥٥}، ويرجع سبب خلود وبقاء الرسالة الإسلامية، إلى أمور:

١ـ أن الله اتخذ الرسالة الإسلامية آخر الرسالات التي بعثها إلى البشر، وذلك بجعل رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين: **(ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)** {الأحزاب:٤٠}، فلا رسول بعده، ولا نسخ لشريعته.

٢ـ أن العناية الإلهية قد تكفلت بحماية الرسالة وحفظها وحفظ القران الكريم الذي هو كتابها المنزل ودستورها المحكم **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** {الحجر : ٩}.

٣ – هيأ الله أناس أمناء تحملوا أعباء هذه الرسالة، وقدموا التضحيات الجسام، في سبيل بقاء هذه الرسالة، والمحافظة على بيضتها، والذب عنها لينقلوها بكل أمانة من جيل إلى جيل.

وبذلك بقيت الرسالة الخاتمة وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الثاني: ارتباط الحسين بالرسالة أو موقعه منها:

قال النبي صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين)[٣]، هذه العبارة التي أطلقها الرسول الأعظم المبعوث رحمة للعالمين، الذي لا ينطق عن الهوى **(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)** {النجم:٤}، تدل على أن ارتباط النبي صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام وارتباط الحسين عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله، هو ارتباط رسالي عقائدي، إضافة إلى الارتباط النَسَبيّ الوثيق بينهما، كأب وابن، أو جد وحفيد (الحسن والحسين ابناي هما إمامان قاما أو قعدا)[٤]، حيث إن المقياس في العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وبمن يحيط به، هو مدى تعلقهم وتمسكهم بهذه الرسالة وبما جاءت به، ومدى إخلاصهم وولاءهم لها،

وخير شاهد على ذلك، علاقة النبي بعمه أبو لهب، قال تعالى: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**) {المسد:٣} وعلاقته بسلمان الفارسي، حيث يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، في الحديث المشهور: (سلمان منا أهل البيت)(٥)، نفهم من ذلك أن قول النبي صلى الله عليه وآله المتقدم في الحسين عليه السلام يدل على العلاقة الرسالية الوثيقة بينهما، كوثاقة العلاقة النَسَبيّة بينهما، هذا من جانب، ومن جانب آخر، يريد النبي صلى الله عليه وآله أن يخبر الأمة بان أهمية دور الحسين عليه السلام في الرسالة كأهميته منها، بيد أن لكل منهما مهمته التي كلف بها، فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله دوره تبليغ الرسالة التي انزلها الله إلى الناس، ودور الحسين عليه السلام هو تثبيت الرسالة والإبقاء عليها. وأجمل ما قيل في ذلك (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء).

بعد أن بينا هذين الأمرين، نعود للإجابة على السؤال المتقدم: من أين جاءت زينب بهذه الثقة الكبيرة، لتطلق مثل هذه النبوءة ؟

إن المتتبع لحياة السيدة زينب عليها السلام، التي ولدت وتربت في بيت الرسالة، الذي كان فيه زغب الملائكة منتشرا في أرجائه، لازدحامها فيه، وتستنشق عبير الوحي في أركانه، لتزق العلم والمعرفة والنبل والعفة والفصاحة والشجاعة من منابعه الصافية، من جدها محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيها علي المرتضى عليه السلام وأمها فاطمة الزهراء عليها السلام وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، في هكذا أجواء نشأت وترعرعت وتأدبت، لتكون امرأة متزنة، راجحة العقل، ناضجة الفكر فكانت (عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة)(٦)، كما وصفها الإمام السجاد عليه السلام، هكذا امرأة لا يمكن أن تكون كلماتها انفعالية عاطفية، دون وعي أو إدراك لما تقول، ولكن كلماتها نابعة من إيمانها العميق الذي لا يشوبه أدنى شك بأن الرسالة الإسلامية الخاتمة المنزلة من ملك السماوات والأرض على سيد رسله محمد صلى الله عليه وآله، ستبقى خالدة مدى الدهر، مؤيدة منصورة بقوته، محفوفة محفوظة بعنايته، وأن الحسين عليه السلام وفكره ونهجه جزء لا يتجزأ من هذه الرسالة، وقد وعد الله بإظهارها ونصرها (**أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**) {يونس: ٥٥}، وأن كل فكر ونهج يتقاطع أو يتقدم أو يتأخر عن نهج محمد وآل محمد عليهم السلام سيذهب جفاء، وأنه سراب وإن حسبه الضمان ماء.

من هذا الإيمان ومن هذه العقيدة الراسخة انبثقت كلمات زينب، لتسجل للتاريخ نبوءة بخلود الحسين عليه السلام، ولما ستؤول إليه الأمور، لجيلها وعصرها، وللأجيال والعصور اللاحقة.

فسلام على زينب بنت علي عليها السلام يوم ولدت ويوم توفيت ويوم تبعث حية ■

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة ألمجلسي - ج ٤٥ - ص ١٣٥.
(٢) الأمالي - الشيخ المفيد - ص ٣٢١ .
(٣) كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه - ص ١١٦.
(٤) جامع الخلاف والوفاق - علي بن محمد ألقمي - ص ٣٦٨ .
(٥) عيون أخبار الرضا / الشيخ الصدوق ج١ ص٧٠.
(٦) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣١.

صورة من الطف..

عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري قال:

كنت مع مولاي فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين أمر الحسين بفسطاط فضرب ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة أو صحفة قال: ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة. قال: ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير ابن حضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك مناكبهما فازدحما أيهما يطل على أثره فجعل برير يهازل عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل.

فقال له برير: والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم.

تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٢١

أثر الأساليب الشعبية في خلود القضية الحسينية

السيد علاء الموسوي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع قد يشعر البعض بتثاقل أو نفور من التعاطي مع بعض الأساليب الشعبية المعتادة في الاحتفاء بمصاب الحسين عليه السلام في كربلاء، حيث يشعرون بأنها على جانب كبير من السذاجة والهبوط من الناحية الفنية ومن ناحية المضمون بالشكل الذي لا يتناسب مع عظمة ثورة الحسين عليه السلام وأهدافها الكبيرة. كما أنهم يشعرون بأن الكثير من تلك الأساليب تبتعد عن روح الثورة والإباء من خلال الأشعار التفجعية التي تعكس الضعف والذلة أكثر مما تعكس الإباء والبطولة. ولعل بعضهم الآخر يضيف سبباً آخر لرفض ومحاربة تلك الأساليب القديمة وهو عدم مواكبتها لروح العصر وللحالة الحضارية.

إن وجود بعض النصوص الضعيفة فنيا في الشعر الحسيني الشعبي مما لا يمكن إنكاره، كما أن وجود بعض القصائد المتضمنة لمعان غير لائقة بالثورة الحسينية، أيضا مما لا يمكن إنكاره. إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون سببا كافيا لرفض الحالة الشعبية برمتها: شعراً، وأساليب، وطرائق. لأن ذلك الضعف

فـي المضمون وفي الجهات الفنية مما لا يختص بالشعر الشعبي الحسيني فقط بل يعم الأصناف الأخرى من الشعر الشعبي والعمـودي بـل والأعمال الفنيـة عموما كالرسـم والخـط وغيرها مـن مجالات الفن. على أن الكثير من الشـعر الشـعبي الحسيني يتضمن جوانب من قوة التعبير وحضور الوجدان ممـا يجعله في مقدمة الأعمـال الفنية الرائعة بالغـة التأثير في عواطف ووجدان الناس.

كما أن التشـدق بالحالة الحضارية من الأمور الضبابية التي يرددها البعض دون اسـتيعاب لمعناها، ودون فهم لأبعادها. فمـا هي تلك الحالة الحضارية التي يجب أن ننظم أمورنا على مقاساتها؟! هل هي مواكبـة الذوق الغربي؟ أم مواكبة الحاجة الحقيقية للناس؟ أم الانسـجام مع الذوق العام في كل عصر؟

لا ينبغي لنا أن نستسلم لحالة الضعف الثقافـي والانهزام الفكـري أمام الثقافة الغربيـة واللذيـن خلفـا عنـد البعـض شـخصية مهزوزة منسـلخة مـن ثوابت العقيدة وبعيـدة عن الأصالة الثقافية التي يتميـز بها فكر الإسـلام الأصيل، فتجد فيهـم التخـاذل والتراجـع والاسـتعداد للتنازل في سـبيل مواكبة مـا يتصورونه حضاريـا ويتوهمون أنه الأفضل، لمجرد مقاربته للثقافة الكافرة والذوق الغربي .

نعـم.. إن مواكبـة حوائـج العصـر الواقعية التي يعيشـها النـاس من الأمور الضرورية لنجاح الفعاليـات الاجتماعية سـواء كانت دينية ام غيرها. كما أن لكل زمن ومجتمع ذوق خاص لابد من مراعاته والعمـل في إطاره. إلا أن تشـخيص ذلك يجـب أن ينطلـق من حياة النـاس وواقع معاناتهـم، لا من التنظيـرات البعيدة عن

الواقع والمحاكية لنماذج مفترضة سلفا يراد فرضها على الناس.

إن المجتمع البسيط قادر على إنتاج الجديد الذي يحتاجه في جميع المجالات، وخصوصا في المجال الديني والشعائري، لأن توغل الدين في وجدان الناس جعله جزءا أساسياً من حياتهم لا تتم سعادتهم إلا بمراعاة شعائره وتطويرها وتنميتها حسب حاجتهم بالطبع كل ذلك في إطار الالتزام بالأحكام الشرعية والثوابت الدينية. حاله حال الحوائج الأساسية الأخرى للحياة. ولهذا نجد عملية التغيير مستمرة تلقائياً وبدون تنظير.

الشعائر.. أم فن النخبة؟

من يجب أن يتعلم ممن؟

خلود القضية الحسينية وتوسع رقعة الشعائر المنادية بها مما يرتبط ارتباطاً أكيداً بفعاليات الناس، وباهتمامهم بالقضية الحسينية، وهذا يعني أن طريقة الاهتمام يجب أن تنطلق من أذواق الناس، ومن ثقافتهم البسيطة وأمزجتهم المتنوعة، دون أن يتم ذلك بفروض مسبقة وقوالب معدة سلفا، لأنها ستكون منبوذة من قبلهم غير قابلة للتأثير في أوساطهم. إن التفاعل الكبير الذي نلاحظه في شعائر الحسين عليه السلام من قبل العامة ناشئ من كون تلك الشعائر نابعة من أذواق الناس، وملامسة لمشاعرهم، كما أنها تعد أعمالا من إبداعهم تشعرهم بأنهم هم أصحاب المشروع، لا أنهم عمالا عند غيرهم حيث يأتيهم المشروع جاهزا وعليهم التنفيذ.

إن لكل فرد من المشاركين في تلك الشعائر حرقة على مصاب الحسين عليه السلام في قلبه لا تبرد إلا بطريقة هو يختارها، ولابد أن تكون تلك الطريقة منسجمة مع موروثه الثقافي والاجتماعي، كما أن لكل فرد منهم تصورا عن واقعة كربلاء وعما جرى على أهل البيت عليهم السلام. وسيكون لذلك التصور دورا كبيرا في التعاطي مع الواقعة وفي ترتيب الشعائر.

والنتيجة.. لن تكون الشعائر الحسينية إلا إفرازات طبيعية وتلقائية لعواطف الناس إزاء مصاب أهل بيت النبوة عليهم السلام. تأبى التنظير المسبق، وعسيرة على الاختراق.

ولأن التفاعل مع القضية الحسينية يعد مسألة شخصية تتحدد بما ذكرناه من خصوصيات وموروثات ثقافية وعاطفية، سيكون انتشار هذه القضية واسعا سعة الناس ومنتشرا على مساحة العواطف

البشرية، كما سيكون ثابتا غير قابل للزوال ما دام هناك بشر وهناك عاطفة، وما دامت الشعائر انعكاساً مباشراً للعواطف الإنسانية، وامتثالاً لأوامر إلهية صدرت من أئمة الهدى عليهم السلام. لا نتيجة للتنظيرات والترتيبات المسبقة التي قد يحلو للبعض اقتراحها وإملاؤها على الناس.

وهكذا جعل الله تعالى خلود هذه القضية بمخزونها العاطفي الهائل وموروثها الثقافي الكبير مرتبطا بالناس مباشرة على جميع مستوياتهم، وليس مرتبطا بالنخبة فقط. ولو قدر لقضية ما أن تكون مرهونة بجهود النخب وحركتهم ونشاطهم لما تعدت في خريطتها البشرية أسوار بيوتهم ولما وجدت طريقها إلى الشارع المكتظ بالبشر ولما انتشرت هذا الانتشار الهائل بين كافة الأفراد.. صغارا وكبارا.. علماء وعوام.. فقراء وأغنياء.. فسقة ومتدينين...

ولك في مقابل ذلك أن تلاحظ المساحة الضيقة شعبيا التي تتحرك فيها برامج النخب ونتاجاتهم الفنية، فهي إذا كانت ناجحة ستكون مقصورة على دويرة من المثقفين يحضرون محاضرة هنا ومعرضا فنيا أو ملتقى ثقافيا هناك. دون ان تجد حالة جماهيرية مليونية كالحالة التي نجدها في الشعائر الحسينية. وما ذلك إلا لأن الفن المرتبط بالنخب لا يعبر إلا عن مشاعر طبقة معينة، ويقوم به أشخاص معينون هم الفنانون بينما تعد الأساليب الشعبية في الشعائر الحسينية معبرا عن مجموع مشاعر الناس لأنها عبارة عن نفس عمل الناس وفعالياتهم لا عمل غيرهم. فالتكايا والمواكب ودوائر ا لتمثيل للو ا قعة و ز و ا يا توزيع الطعام والشاي والماء وغيرها من الفعاليات هي من عمل الناس كل حسب إمكانه وطبقاً لمزاجه وذوقه.

وبهذا ندرك أن من يريد الخلود والانتشار لقضية ما لابد أن يضمن ارتباطها بوجدان الناس وبفعالياتهم المباشرة بحيث يعد الاهتمام بها عندهم جزءاً من الاهتمامات الشخصية والنشاطات المشوقة التي يحرصون على متابعتها وتطويرها وأدائها في موعدها والتحضير لها قبل موعدها بعناية كبيرة، كما نرى ذلك في أصحاب المجالس التي تقام في المنازل أو التكايا في المحال الشعبية.

من هنا يتضح الفرق الشاسع بين أساليب الناس والأساليب الفنية للنخبة. فما لا يمكن للفن أن يبلغه من مساحات كبيرة اجتماعياً، يمكن للأساليب الشعبية أن تغطيه بأضعاف لا تحصى من الجماهير والمناطق والطبقات على اختلافها وتنوعها.

إذن.. من يجب أن يتعلم من الآخر؟

ولا يخفى أن حديثنا هنا يتناول الأساليب فقط دون نظر إلى الدوافع الدينية الفريدة التي تقع وراء القضية الحسينية وتحرك الناس نحوها بهذا الاندفاع منقطع النظير. وإلا فإننا نعتقد أن أكبر رصيد للشعائر الحسينية هو المبدأ الذي تنطلق منه والشخصية التي تحتفي بها ■

رسالة الحسين(ع) إلى البصرة

رؤية تاريخية

حيدر المالكي •

ينابيع

لما تهيأت الظروف المناسبة لقيام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة، بدأ عليه السلام بتحشيد الرأي العام وتعبئة الطاقات في الحواضر الإسلامية للمشاركة الفعالة في تصحيح الواقع الذي كانت تعيشه الأمة آنذاك، فلم يأل عليه السلام جهداً في دعوة الناس والتعريف بمضمون النهضة وهدفها السامي، وقد تنوعت صور هذا الجهد فتارة نراه عليه السلام يلتزم منهج الخطاب المباشر مع من يفد إليه أو حينما تحين فرصة لقاء له مع عموم الناس، وأخرى نراه يلتزم أسلوب المراسلة للتواصل مع الآخرين.

وكانت البصرة البلد الوحيد الذي راسله سيد الشهداء عليه السلام، من تلقاء نفسه دون أن يكتب أهلها إليه، عكس الكوفة التي راسله أهلها طالبين منه صراحة السير إليهم.

لنحاول الإجابة عن السبب الذي حدا

بالحسين عليه السلام أن يراسل البصريين ويطلب منهم النصرة، لماذا البصرة بالذات وواقعة الجمل لا زالت تلقي بظلالها على المجتمع البصري الذي ألف العداء لعلي وآل بيته عليهم السلام؟ حتى عُدّ مجتمعاً عثماني الهوى والميل، ما الذي كان عليه السلام يتوقعه من رد على رسالته، هل يستجيب البصريون لطلبه، أم أنه عليه السلام أرسل رسالته لشيعة البصرة حصراً دون الآخرين؟.

لابد لنا من معرفة نص الرسالة التي بعث بها الحسين عليه السلام لتكون مداراً للبحث وسوف نورد هنا نصين أولهما نقله الطبري في تاريخه، والنص الثاني نقله الشيخ ابن نما في مقتله (مثير الأحزان) والسيد ابن طاووس في (اللهوف).

النص الأول:

(كتب حسين مع مولى لهم يقال له سليمان وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف فكتب إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الأحنف بن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما

أرسل به صلى الله عليه وسلم وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله.

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمه غير المنذر بن الجارود فإنه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله فجاءه بالرسول من العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة وأقرأه كتابه فقدم الرسول فضرب عنقه)[1].

النص الثاني:

(وكتب عليه السلام إلى وجوه البصرة منهم الأحنف بن قيس وقيس بن الهيثم والمنذر بن الجارود العبدي ويزيد بن مسعود النهشلي وبعث الكتاب مع ذراع السدوسي وقيل مع سليمان المكنى بأبي رزين، فيه (إني أدعوكم إلى الله وإلى نبيه فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، فإن تجيبوا دعوتي، وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد) فلما وصل الكتاب كتموا على الرسول إلا المنذر بن الجارود فإنه أتى عبيد الله بالكتاب ورسول الحسين لأنه خاف أن يكون الكتاب قد دسّه عبيد الله فلما قرأ الكتاب ضرب عنق الرسول، وأما الأحنف بن قيس فإنه كتب إلى الحسين عليه السلام: أما بعد فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون)[2].

عند المقارنة بين النصين نلاحظ:

أولاً: وجوه التشابه:

١ـ رسول الحسين في كلا النصين هو سليمان المكنى بأبي رزين وإن قدم ابن نما شخصاً يدعى (ذراع السدوسي) على أن نص الطبري ذكر (مع مولى لهم) فهل كان سليمان ـ رسول الحسين ـ من موالي بني هاشم؟ وقد اتحدت الروايتان في ذكر نهاية هذا الرسول المأساوية.

٢ـ تشابهت الروايتان في ذكر الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود وقيس بن الهيثم فقط.

٣ـ نص الرسالة في رواية ابن نما نص قصير فأما أن يكون قد اختصره والصحيح ما نقله الطبري، أو تكون طبيعة النص

هكذا لأنه نص رسالة مستعجلة مختصرة تركز على طبيعة الوضع القائم ولا تحفل بالمواضيع الثانوية وبذا فقد يكون نص الطبري طرأت عليه إضافة، والنص المشترك بين النصين هو: (إني أدعوكم إلى الله وإلى نبيه فإن السنة قد أميتت، فإن تجيبوا دعوتي، وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد) يبين فيه الحسين عليه السلام دعوة عامة مطلقة إلى ما يرضي الله فلم نره عليه السلام يدعوهم علانية للالتحاق به وإنما جاءت دعوة مفتوحة يستشف الذي يقرأ الرسالة بين ثناياه عن هذه الدعوة.

ثانياً: أوجه الاختلاف:

١ـ ذكرت رواية ابن نما وجوه أهل البصرة، بينما ذكرت رواية الطبري رؤوس الأخماس بالبصرة والأشراف، حيث ذكر الطبري إضافة للمتقدمين في وجه التشابه كل من مالك بن مسمع البكري ومسعود بن عمرو وعمرو بن عبيد الله بن معمر، بينما جعل ابن نما يزيد بن مسعود النهشلي محل الثلاثة.

٢ـ إضافة الطبري على نص ابن نما وهي (أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه و سلم وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم)

المتأمل في نص الطبري يجد:

أ ـ إشارة الإمام الحسين عليه السلام إلى أحقية أهل البيت عليهم السلام في الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ب ـ ترضيه عليه السلام على القوم الذين ابتزوا منهم حقهم وإن علم عليه السلام بإن أهل بيته أحق منهم وذلك منعاً للفرقة وحباً للعافية.

ج ـ ترحمه عليهم فقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق.

ولعل الطبري زج هذه الزيادة ـ إن صحت ـ للتأكيد على الاستنتاجين الأخيرين، حيث أراد إظهار كون الإمام راضياً عما فعلوه الأوائل، محباً لجمع الكلمة جانحاً إلى العافية والواقع عكس ذلك بالإمام ندد لأكثر من مرة بمواقف الصحابة الذين حادوا عن الصواب وأقصوا أصحاب الحق عن حقهم، ثم بين الطبري أن الإمام عليه السلام رأى بعد أن استقامت لهم الخلافة، أحسنوا الصنع وأصلحوا الشأن وتحروا عن الحق فعملوا به وليس لنا على هذا الكلام تعليق بل نتركه لمن يتحرى في كتب التاريخ وسيكشف صحة قول الطبري من عدمها.

أسباب إرسال الإمام عليه السلام الرسالة

يعزي الباحث الشيخ محمد الهنداوي قيام الإمام الحسين عليه السلام بمراسلة البصريين للأمور التالية[٣]:

١ـ إن البصرة هي ثاني اكبر مدن العراق، فإذا قيل العراقان، قصد: الكوفة والبصرة، وعليه فإن الإمام عليه السلام أراد أن يكسب موقف البصريين لصالحه، باعتبارهم كثافة بشرية ونوعية، وبالتالي سيكون لهم تأثير في عملية الصراع.

٢ـ إن البصرة قريبة من الكوفة بالقياس مع بقية المدن، فهي اقرب من اليمن ومصر والحجاز، وكذلك كان الإمام عليه السلام

يريد أن يسبق الأحداث، إذ لو نجحت ثورته في الكوفة فإنه لن يفاجأ بمناصرة البصرة لأعدائه مستقبلاً.

٣ـ لا ننسى إن في البصرة شيعة كثيرون.

أما الباحث الشيخ نجم الدين الطبسي فيبين علة مبادرة الإمام الحسين في الكتابة إلى أشراف البصرة ورؤسائها قائلاً[٤]: (لا يشك مطلع على التاريخ الإسلامي بالأهمية الخاصة التي كانت تتمتع بها كل من ولايتي الكوفة والبصرة وأثرهما البالغ على حركة أحداث العالم الإسلامي آنذاك، خصوصاً وأن هاتين الولايتين المهمتين لم تنغلقا لصالح الحكم الأموي كما انغلق الشام تماماً لصالحه آنذاك، فمحبو أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في كل من هاتين الولايتين برغم الإرهاب والقمع الأموي كانت لهم اجتماعاتهم ومنتدياتهم السرية وتطلعاتهم إلى يوم الخلاص من كابوس الحكم الأموي.

نعم هناك فارق واضح بين الكوفة والبصرة من حيث تاريخ كل منهما في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام ومن حيث عدد الشيعة في كل منهما ومن حيث درجة تحفزهم للتحرك ضد الحكم الأموي ويضاف إلى ذلك إن البصرة آنذاك كانت تحت سيطرة والٍ قوي وإرهابي مستبد هو عبيد الله بن زياد الذي كان قد هيمن على إدارة أمورها وأحكم الرقابة الشديدة على أهلها في وقت كانت الكوفة قد تراخت أزمة أمورها بيد والٍ ضعيف يميل إلى العافية والسلامة هو النعمان بن بشير، فكان الشيعة في الكوفة أقدر على الحركة والفعل من الشيعة في البصرة عموماً، مما قد يفسر مبادرة أهل الكوفة وبهذا الكم الكثير إلى المبادرة في الكتابة إلى الإمام عليه السلام ودعوته إليهم، في وقت لم تصل إلى الإمام عليه السلام رسالة من أهل البصرة يدعونه فيها إليهم أو يظهرون فيها استعدادهم لنصرته.

فبادر الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى أهل البصرة عن طريق أشرافها ورؤساء الأخماس فيها، لأن أهلها ـ عد خلص الشيعة منهم ـ لا يتجاوزون أشرافهم في اتخاذ موقف وقرار، فكان لا بد من مخاطبتهم عن طريق أشرافهم ورؤساء الأخماس، وإن كان بعض هؤلاء ممن يميل إلى بني أمية، وبعضهم ممن لا يؤتمن، وبعضهم ممن لا تتسق مواقفه باتجاه واحد.

ولعل الإمام عليه السلام أراد الحجة على الجميع، مع ما قد تثمره رسالته من صدّ المتردد من الأشراف ورؤساء الأخماس عن الانضمام إلى أي فعل مضاد لحركة الإمام عليه السلام، وما تثمره هذه الرسالة أيضاً من إعلام البصريين الراغبين في نصرته بأمر نهضته وتعبئتهم لذلك من خلال أشرافهم الموالين لأهل البيت عليهم السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلي وأمثاله).

على إن الباحث محمد الأسدي بيّن في معرض رده على السؤال الذي طرحه لماذا كتب الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة ولم يكتب إلى أهل اليمن أو غيرها من البلدان؟ قائلاً[٥]: (السبب الراجح عندنا هو إن البصرة باعتبار جوارها الجغرافي ووقوعها ضمن الخارطة السياسية للعراق يومذاك كان يعنيها ما سيجري في الكوفة وأن موقفها سيكون ذا تأثير سلبي أو إيجابي على مسيرة الأحداث، كما أن فيها بقايا من الشيعة

وإن كانوا أقل حركة وأقل معارضة من شيعة الكوفة، فالغالب على شيعة البصرة كما يبدو أنهم كانوا أكثر استتاراً من شيعة الكوفة، حتى أن بعض مبرزيهم صاروا من المقربين لزياد بن أبيه ولابنه عبيد الله مثل الأحنف بن قيس وشريك بن الأعور والمنذر بن الجارود الذي تزوج عبيد الله بن زياد ابنته هند.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام يأمل في أن يحرك كتابه إليهم العزيمة على النهضة والاندفاع لنصرته، ولكن الذي حصل هو إن المنذر بن الجارود وشى بالرسول القادم بكتاب الإمام الحسين عليه السلام خشية أن يكون على حد زعمه مدسوساً عليه من قبل عبيد الله بن زياد، فقام هذا الأخير بقتل الرسول والتهيؤ للحركة نحو الكوفة).

هل آتت رسالة الحسين عليه السلام إلى البصريين ثمارها؟

أهم ثمرة من ثمرات رسالة الحسين عليه السلام فيما أخال هي الحالة التي خلقتها في جو البصرة حيث لاقت هذه الرسالة وبالرغم من التكتم الإعلامي الشديد الذي أحيط بها من قبل المخاطبين بها إلا أنها أخذت صدىً واسعاً خصوصاً في الأوساط الشيعية في حين يعزو الأستاذ محمد الأسدي السبب إلى: (...أن خبر الكتاب قد شاع في البصرة سواء بسبب قتل الرسول أو بسبب آخر، ولا نشك أن عبيد الله بن زياد قد اتخذ تدابير مشددة من أجل مواجهة أي حركة ومثل هذه التدابير قد تكون سبباً في إشاعة الخبر)[٦].

كما أثمرت هذه الرسالة عما يلي:

١- تحرك الشيعة من البصريين استجابة لرسالة الحسين عليه السلام، فقد اورد المؤرخون نصاً بيّنوا فيه اجتماعهم في دار امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد او منقذ حيث أعدوا العدة واحكموا الرأي في نصرة الحسين عليه السلام إلا أن السبل قد انقطعت بهم وكانوا قد خططوا للإنضمام مع الحسين عليه السلام في اثناء الطريق إلى الكوفة.

٢- ظهور مسعود بن يزيد النهشلي – حسب رواية ابن نما وابن طاووس- وقد دعا عشيرته وطلب منهم نصرة الحسين عليه السلام ولما استجاب له ثلة منهم خرج معهم لكنه سمع بمقتل الحسين فلم يستطيع مواصلة الطريق فعاد إلى البصرة ولما سمع الحسين عليه السلام باستعداده لنصرته قال: (مالك يا بن مسعود أمنك الله من الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر)، ومسعود هذا هو شقيق زوجة الإمام علي عليه السلام ليلى بنت مسعود والغريب إن الطبري تجاهل تماما هذا الرجل وخطبته في عشيرته وما ترتب أثر ذلك.

٣- التحاق عدد من شيعة البصرة واستشهادهم مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، أمثال الحجاج بن بدر التميمي، وقعنب بن عمر النمري، الأدهم بن امية العبدي، سيف بن مالك العبدي، عامر بن مسلم العبدي ومولاه سالم، يزيد بن ثبيط العبدي، عبد الله بن يزيد العبدي، عبيد الله بن يزيد العبدي[٧] ■

---

(١) الطبري، تاريخ، ٤/٢٦٦.
(٢) مثير الأحزان، ص١٢١.
(٣) قراءة في الخطاب الحسيني، ص٧٩.
(٤) الإمام الحسين في مكة المكرمة، ص٢٨.
(٥) ما قبل عاشوراء، ص١٦٩.
(٦) المصدر السابق، ص٧٠.
(٧) السماوي، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، ص٢٠٣.

تحديد المواقف بين الأيديولوجية والمعرفة

بعد واقعة الطف

الشيخ حسن كريم الربيعي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

من الغريب أن يفعل بالإمام الحسين عليه السلام هذه الفعلة، ولو عرضت على النوع الإنساني منذ تكوينه إلى قيامه لا يرضى الفعل الصادر ممن يدعي الإنسانية بأدنى حدودها، ومن الغريب والعجيب إغماض العين عن هذه الفعلة ـ من قبل بعض المعاصرين ـ التي شوهت الفكر الإنساني على مدى المسار التاريخي ولكنها أيقظت الضمير الحي برسوخ فكرها في المستوى الإنساني منذ وقوعها عام ٦١هـ إلى تجددها وانتشارها وديمومتها في الفكر العالمي برغم إغماض العين عنها عند بعض المسلمين محاولة لإرضاء حكام الظلم والجور في الماضي والحاضر، إذ رضي من هم خارج التاريخ فبرروا الأفعال وحكموا بصحة الفعل الصادر من القتلة مع المثلة بشخص لا نظير له يقف أمام الجيش له من الحصانة الشرعية والأخلاقية المادية والروحية مما لا ينكره المعادين له حتى المتجاسرين على

شخصه بالنهب والسلب والقطع والتمثيل وحمل الرأس على الرمح للسير به أمام الناس وفي مناطق وقرى ليقدموا للناس صورة لأفعالهم من أجل السلطة وهي عملية ميدانية لمن يريد المعارضة أو الوقوف بوجه الدولة المتسلطة التي أصبحت شرعية بفضل سياسة الترهيب والترغيب والتزييف الأيديولوجي للحقائق وازدواجية المعايير وغياب الوعي المقصود زرعه في ثقافة الأمة.

إن غياب المنحى المعرفي في كشف الحقائق أدى لبروز ظاهرة النموذج الأسوأ وكأنه مصلح كابن تيمية عند أحمد أمين ومحمد عابد الجابري وطه عبد الرحمن وأبو يعرب المرزوقي من المفكرين المعاصرين فضلاً عن الفتاوى الفقهية عن اتباع ابن تيمية في مشروعية الحكم اليزيدي والترويج لذلك الخط المؤدلج كمنهج إسلامي يعتمد المصادر الإسلامية الأصيلة، مع أن هذه المصادر تنطق بصريح القول في بيان صورة ناصعة البياض للإمام الحسين عليه السلام ومن لا يعرف ذلك عليه أن يبحث بحثاً ابستمولوجياً ليجد الصورة الحقيقية ويصل إليها عن هذا الطريق ليكون أوقع في النفس من التلقي السريع من دون جهد.

هذا اليوم أضافت الشرعية السلطانية إلى من تلطخ بدماء أهل البيت عليهم السلام ورضي بفعالهم الحجة بالتخريج الأيديولوجي لمصلحة الأموية مقابل العلوية وهو التقسيم التاريخي الوحيد في الصراع السياسي، فإن الأمة قد انقسمت في فكرها إلى هذين الخطين، وقد تمظهر في موقف الإمام الحسين عليه السلام كموقف ميداني للإصلاح والنهضة، ولم يتغير الموقف العلوي ولا الأموي إلى هذه اللحظة بل إن شعار الإمام

المهدي (عجل الله فرجه) القضاء على الأموية المعشعشة في الأفكار وتاريخها، وإني لأستغرب من بعض المعاصرين إذ يصرح بصحة أعمال اليزيدية الأموية تجاه رحل النبي صلى الله عليه وآله وأسرته وقرة عينه الحسين عليه السلام، هذا الموقف وغيره من المواقف يجب أن يصدر بعد التشخيص وهو النظر في الحدود والموانع وإبراز الموضوع بشكله الجلي ثم إصدار الحكم النهائي فلا القياس الجلي ولا الخفي ولا الاستحسان ولا قول الصحابة وفعلهم نفعت في إصدار الحكم فأي دليل يعتمد إذاً وما هو فعل المقارنة يا ترى؟ والغريب إن الشيعة الإمامية لمّا تبكي الحسين عليه السلام تستنكر بعض الطوائف وتأول الشيعة أفعالها من الحزن وأشكاله حزناً وألماً على الأفعال التي صدرت من هؤلاء من قتل وتعذيب وقطع للرؤوس مع معرفة

منازلهم ومراتبهم العالية في سماء الشريعة الإسلامية، فإذا أردت حب الحسين عليه السلام وأصحابه فالحسين عليه السلام أعلى مرتبة من الصحابة باعتراف جميع الصحابة لما له من منزلة رفيعة وقرب معنوي إلى روح النبي صلى الله عليه وآله، فلعجزهم عن إدراك فضيلة الاستنكار قالوا إن شيعة الإمام علي عليه السلام وأولاده يسبون الصحابة فأيهما أكثر شناعة سب الصحابة أم قتلهم أو قتل من هو أعلى منهم منزلة؟ وصح الخبر المتواتر إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة باللفظ عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله، ثم إذا عرضت هذه الأفعال على شخص الرسول صلى الله عليه وآله يا ترى ما هو رأيه؟ سؤال يحتاج إلى إجابة.

تعدد المواقف للفكر الأيديولوجي الأموي

قال تعالى: (**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ**) هود/١١٣، هذا النص يؤكد منع الركون والسكون للظالم بل هي ثقافة وعي في الفكر الإسلامي منعها المتسلط من أن تمارس على مستوى الأمة مما نتج طغيان الظلم وامتداده وأثره في تاريخ الأمة وعدم تحولها إلى ثقافة الوعي الحقيقي بمرتكزاتها، ومن هذه الأيديولوجية إنهم ركزوا ثقافة عدم الخروج على الحكام وقتالهم حرام وإن كانوا فسقة ظالمين ودليلهم الإجماع ولكنهم في تنازع في هذا الإجماع لخروج الإمام الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية[1]، ولذلك حاولوا تبرير فعل الحاكم والعجيب من بعض (أهل العلم كالكرامية ومن وافقهم في الجمود على أحاديث الباب حتى حكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه

باغ على الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله فيا لله العجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من مسامعها كل جلمود)[٢].

ينهى عبد الله بن عمر بن الخطاب خلع بيعة يزيد بن معاوية واعتبر ذلك غدرة[٣]، وفي سنن الدارمي (ت٢٥٥هـ) ينقل عن شخص قد سمع يوم تهنئة يزيد بالخلافة إن من اشتراط الساعة أن ترتفع الأشرار وتوضع الأخيار ثم يذكر قائل هذا القول وهو عبد الله بن عمر[٤]، وينقل البخاري (ت٢٥٦هـ) إن مروان ذكر يزيداً يوماً فرده عبد الرحمن بن أبي بكر، ولكن البخاري لم يذكر الرد وعبر عنه (شيئاً) أي قال شيئاً فأمر مروان بأخذه إلا أنه دخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه[٥]، ثم ذكر البخاري حادثة عبد الله بن عمر بن الخطاب رفض خلع يزيد مصرحاً: (وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال... الخ)[٦].

مرويات الطبري بعد الشهادة

قال الإمام الحسين عليه السلام عندما حيل بينه وبين رحله كما نقل ذلك الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه: (ويلكم! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم)[٧]، والنص يشير إلى النزعة الإنسانية الأعم الجامعة بين الناس وحتى هذه قد نزعت فصدرت منهم الأفعال الخارجة عنها، ويبدو إن القتال كان مقابل مخيم النساء إذ يروي الطبري إن غلاماً قد اشتد في المجيء إلى الإمام عليه السلام فأخذته العقيلة عليها السلام لترده إلى الخيام وكانت تسمع قول الإمام الحسين عليه السلام احبسيه ولكن الغلام أبى وصاح بأبجر بن كعب لما رآه يريد ضرب الحسين عليه السلام (يا ابن الخبيثة أتقتل عمي)[٨]، وقد لاقى هذا الغلام قسوة وظلم هؤلاء في قطع يده (فضمه ـ الحسين[٩] ـ إلى صدره وقال: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين برسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسين بن علي صلى الله عليهم أجمعين)، ولما شعر الإمام الحسين عليه السلام بقرب الشهادة ولم يبق معه إلا ثلاثة أو أربعة دعا بسراويل محقق (أي محكمة النسيج) يلمع فيها البصر يماني محقق فغرزه ونكثه أي نقض نسجه لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته تباناً وهي سراويل صغيرة مقدار شبر تستر العورة، قال: ذلك ثوب مذلة ومع هذا قد سلب، سلبه أبجر بن كعب وتركوه مجرداً[٩].

كانت المعركة قبل نهايتها يمكن تصويرها كما وردت عند المؤرخين الكبار ممن ينتهي به السند إلى الرؤية البصرية أي عن حس ومشاهدة إما هو مشارك في المعركة أو غير مشارك من أطراف الصراع ويطلق عليهم في التاريخ شهود عيان للأحداث، كان الإمام الحسين عليه السلام يقاتل إلى آخر نفس في حياته وكانت الكثرة قد غلبته ولما اشتد الضرب عليه كان ينوء ويكبو وفي أثناء ذلك هجم عليه سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع ثم أمر خولى بن يزيد الأصبحي أن يحتز رأسه فأراد أن يفعل فضعف فأرعد فجاءته السيوف قبل أن يقطع رأسه، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام طعن ثلاث وثلاثون وأربع وثلاثون ضربة، وسلب الحسين عليه السلام

ما كان عليه، انظر وتأمل للفعل الصادر من هؤلاء وكيف انتزعت الروح الإنسانية منهم، وكان سلبهم ونهبهم كما يأتي كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه:

١. السراويل لأبجر بن كعب.

٢. القطيفة وكانت من خز لقيس بن الأشعث، ولقب بعد ذلك بقيس قطيفة.

٣. نعليه لرجل من بني أود يقال له الأسود.

٤. سيفه لرجل من بني نهشل بن دارم ومن بعده إلى أهل حبيب بن بديل.

٥. الورس والحلل والإبل سلبها الناس.

٦. نساء الحسين عليه السلام وثقله ومتاعه هجم عليها العسكر فأخذ ما أخذ من متاع دنيوي.

وكان آخر قتيل في المعركة سويد بن عمرو بن أبي مطاع كان قد صرع فأثخن فوقع بين القتلى متخناً فسمع القوم يقولون: قتل الحسين فنهض ومعه سكين وقد أخذ سيفه فقاتلهم إلى أن قتل.

وفي رواية حميد بن مسلم إن عمراً أمر بعدم التعرض لحرم الإمام الحسين عليه السلام ومن أخذ شيء فعليه رده ولكن لم يرد شيئاً أخذه الناس (فوالله ما رد أحد شيئاً)[١٠]، ولم يكتف القوم بقطع رأس الحسين عليه السلام إذ انتدب عمر بن سعد جماعته ونادى في أصحابه: من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة:

١. إسحاق بن حيوة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين عليه السلام.

٢. أحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي.

ولم يذكر الطبري غير هؤلاء ولم يسم الثمانية ولكنه ذكر إنهم قاموا بالفعل المأمور به من قبل عمر بن سعد (فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره...)[١١]، ثم... أرسل رأس الحسين عليه السلام إلى الكوفة يسبق السبايا بيد خولى بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي... ثم بعد ذلك قطعت رؤوس الباقين فيذكر الطبري إنها كانت اثنين وسبعين رأساً تحت حماية الشمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس.

وقد بالغ ابن زياد في النظر إلى رأس الحسين عليه السلام وهو ينكت بقضيب بين ثنيتيه فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثيتين فوالله لا إله إلا غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، وهذه هي لغة القوم أمام الحق أصروا واستكبروا استكباراً فنهض زيد خارجاً وهو يتمتم بكلام سمعه الناس عند خروجه لذا قالوا: (والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله)، ثم ينقل الطبري ما قاله زيد بن أرقم وسمعه الناس قالوا مر بنا وهو يقول: ملك عبد عبداً فاتخذهم تلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل.

وكان لعبد بن الله بن عفيف الأزدي الغامدي ذات الموقف وبه نال الشهادة إذ أمر بصلبه في السبخة ثم إن الرأس طيف به في الكوفة ثم بعد ذلك أرسل الرأس مع الرؤوس إلى دمشق، ولبيان هذا الموقف الشجاع منه يظهر المرتكز في وعي الأحرار لأثر هذه الأفعال مع عدم الرد بتركيز ثقافة الفكر الأيديولوجي وتسلط

الحاكم الظالم وتحسين صورته حتى لو اعتدى على قيم التأسيس النصية النازلة والمفسرة، سنذكر ما نقله الطبري من كلام الأزدي لابن زياد، إن الأزدي كان من الشيعة عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل وفي صفين ضرب على رأسه فذهبت عينه الأخرى، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى صلاة الليل ثم ينصرف فلما سمع ما قاله ابن زياد في خطبته رده بقوله: (يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين! فقال ابن زياد: عليّ به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه، قال: فنادى بشعار الأزد: يا مبرور، قال وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال: ويح غيرك! أهلكت نفسك وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله فأرسل إليه من آتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هناك)[12].

ويرسم الطبري صورة أخرى من صور المواقف الفعلية لأحد الصحابة وهو أبو برزة الأسلمي له موقف مع يزيد الذي كان يشمت في قتل الإمام عليه السلام وينظر للرأس الشريف ويعيد نكته، إذ أعاد نكت ثغر الرأس فقام إليه أبو برزة قائلاً مستفهماً: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين إما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً - وهي إشارة إلى الشماتة والحقد - لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يرشفه أم إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد صلى الله عليه (وآله) وسلم شفيعه ثم قام فولى[13].

وليحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم كلام في ذلك: لما وضعت الرؤوس أمام يزيد وقد قال:

يفلقن هاماً من رجال أعزة
علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فرد يحيى بن الحكم بقوله:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة
من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى
وبنت رسول الله ليس لها نسل

فضرب يزيد صدر يحيى وقال اسكت[14]، وله أيضاً لما سمع بقتل الحسين عليه السلام وأصحابه قال: حجبتم عن محمد يوم القيامة لن أجامعكم على أمر ثم قام فانصرف[15] ■

---

(١) الشربيني (٩٧٧هـ)، محمد الخطيب، مغنى المحتاج (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧هـ) ج٤، ص١٢٣.
(٢) الشوكاني (ت١٢٥٥هـ)، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأطبار، (بيروت: دار الجيل، بلا)، ج٧، ص٣٦٢.
(٣) ابن حنبل (ت٢٤١هـ)، أحمد، مسند أحمد، (بيروت: دار صادر، بلا) ج٢، ص٤٨.
(٤) الدارمي، عبد الله بن بهرام، سنن الدارمي، (دمشق: مطبعة الاعتدال، بلا) ج١، ص١٢٣.
(٥) البخاري، صحيح البخاري، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ) ج٦، ص٤٢.
(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٩٩.
(٧) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٤٥٠.
(٨) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٥١.
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٥٤.
(١١) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٥٠.
(١٢) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٥٩.
(١٣) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٦٥.
(١٤) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٦٠.
(١٥) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٦٥.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسّنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».

كامل الزيارات ص:٢٠١

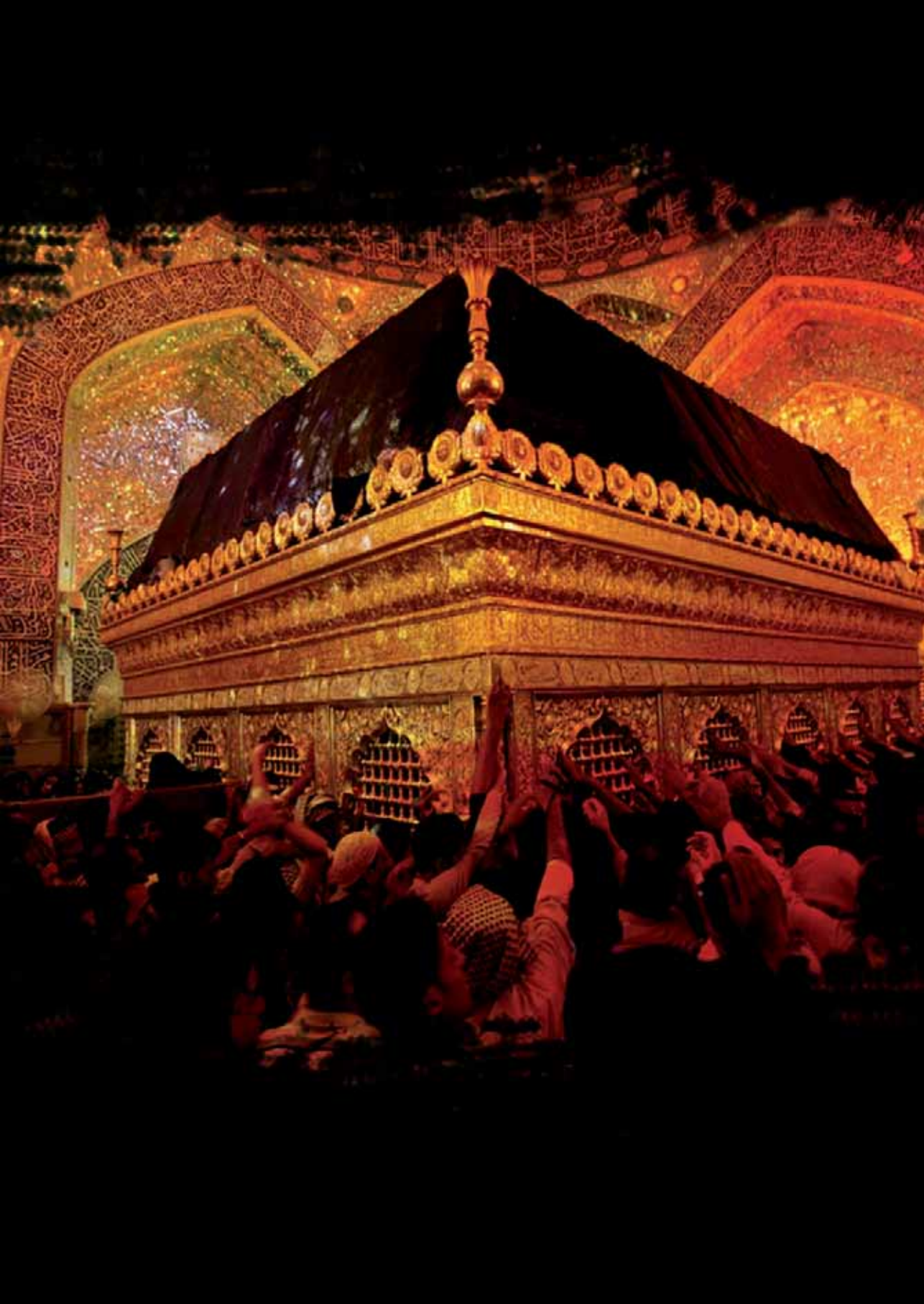

من فكر الإمام الحسين(ع)

حسين جودي كاظم المجبوري •

ينابيع

إن دراسة أقوال الإمام الحسين عليه السلام منذ مواجهته للحكم الأموي تعطي دلالات لها أثرها في بيان معالم التغيير الاجتماعي التي اختطها الإمام عليه السلام. فمن المعلوم أن لغة الخطاب التغييري له أنماط من التعبئة وألوان تختلف عن غيرها، فلكل مرحلة مدلول ينظر إليه وفق الظروف الخاصة بها.

فلو نظرنا إلى دور الإمام الحسين عليه السلام بعد رحيل أخيه الإمام الحسن عليه السلام إلى ربه عز وجل نلاحظ أنه قد دخل مرحلة جديدة وفقاً للملابسات التي استجدت في مسيرة الأمة وحيث أن كل إمام يتحدد دوره وفقاً لطبيعة الظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية فإن الحسين عليه السلام قد انتهج طريقاً جديداً في تحديد مسار الحركة الإسلامية، وبعبارة أخرى بعد أن آلت إليه الإمامة الشرعية بمقتضى الإرادة الإلهية واجه الإمام الحسين عليه السلام المخطط الأموي المنحرف وعايش حوادثه من التصفية للمعارضة سيما أتباع الإمام علي عليه السلام، أو تمكين السياسة المنحرفة من خلال شراء الضمائر بالأموال، أو إثارة الروح القومية والقبلية، أو تتويج يزيد خلفاً لأبيه معاوية خلافاً لوثيقة الصلح، أو اغتيال الإمام الحسن عليه السلام...[1].

إن منح يزيد السلطة ليقود الأمة الإسلامية ويخطط لمستقبلها ويحدد

مسارها معناه الإنهاء العملي وعودة للجاهلية ولكن بثوب جديد، لقد وقفت الأمة على عتبة تاريخ جديد من حياتها وأصبحت أمام خيارين: إما تبنى سياسة الرفض القاطع للواقع الذي فرض عليها مهما كان الثمن. أو القبول بسياسة الأمر الواقع وعليها التنازل عن رسالتها وعنوان عزتها في الحياة[٢].

وعند دراسة هذه المسيرة التكاملية التصاعدية وطريقة المواجهة هذه من خلال بعدها الحضاري والاجتماعي نلاحظ ضرورة وجود مقومات وعوامل لتلك الثورة والنهضة برزت معالمها من خلال الأفعال والأقوال لتجسد فكراً مثالياً ربانياً وحركة استمدت جذورها من القرآن الكريم وحركة الأنبياء لتكون خطاً إنسانياً مكافحاً نزيهاً أراده الله تعالى أنموذجاً حياً عبر التاريخ تفوح ذكراه المعطرة بدم الطف عند تجدد ذكر ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

فكر الإمام الحسين عليه السلام هو الفكر النير الذي اختزن الوعي والإرادة فهو عليه السلام وأصحابه الطليعة الرسالية التي وقفت بوجه الظلم والاستبداد واختطت منهجاً انطلق يعبر عن مبادئ السماء ليشكل صورة من الجهاد والكدح لملاقاة الله تعالى والسفر إليه.

نحن مع الإمام الحسين عليه السلام في الخطبة الأولى في كربلاء التي نادى بها جيش

عمر بن سعد ـ بصوت عال راكباً راحلته ـ ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه[٣]. وقفنا على أكثر من موضع في الخطبة لبيان معالم شروط النهضة الإنسانية والعوامل التي تساعد على قيام الأمة، لأن النهضة والتغيير الاجتماعي هو الخروج من الظلمات إلى النور ولكي تنتقل الأمة من حياة اجتماعية إلى أخرى لابد من توفر أمور منها القادة والمبادئ والوعي والمنهج، وغير ذلك.

فالمصلحين والقادة هم نقطة البداية، ومعهم مجموعة من الذين آمنوا بهم يشكلون النواة الأولى للتغيير والبناء ثم تبدأ عملية الانتشار، إن الاهتمام بأمور الأمة وشؤونها تحمله الطليعة المؤمنة بمستوى الحركة والتغيير وتعمل جاهدة للإصلاح والنهوض[٤]، قال تعالى: (**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)[٥]، وقال سبحانه: (**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[٦].

إن قيادة الإمام الحسين عليه السلام لعملية التغيير تكشف عن وجود واقع فاسد وهذه الحركة تمتعت ببصيرة وترسخت فيها المبادئ الإلهية وأعطت دروساً للثوار في كيفية ممارسة الحرية واتخاذ القرار لأجل بناء حكومة إنسانية عادلة، إن الوعي ونفاذ البصيرة في القيادة الربانية قد شخص لنا الداء وتثبت مشروعية هذه النهضة ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ما خاطب به الإمام الحسين عليه السلام الجيش الأموي قائلاً: (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهده مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)[٧].

وإن عملية التغيير تنطلق من أعماق الإنسان وكلما عاشها في باطنه كانت أكثر تأثيراً في الخارج ووجدت صدى وسبيلاً في الوجودات الأخرى، إن القيم والمثل التي حملها الإمام عليه السلام وأصحابه كانت هي السبيل النير والمنهج الواضح للوقوف بوجه الظلم والانحراف، لقد طلب الإمام الحسين عليه السلام من أخيه العباس عليه السلام أن يفاوض جيش عمر بن سعد في أن يمهلوا الحسين عليه السلام ليلة واحدة ولم يكن طلبه هذا لغرض التفكير في الأمر وحساب الموقف، بل إنه قد فرغ من ذلك، وبدا كل شيء واضحاً له إنما أراد ان تكون ليلة العاشر آخر ليلة من الدنيا ليلة عبادة ودعاء لذلك خاطب أخاه عليه السلام: (ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار)[٨].

المعهود من رسل الإصلاح وأئمة الهداية إقامة الحجج على العقول وتنوير الأفكار واتخاذ الموعظة سبيلاً إلى الدعوة لله تعالى لذلك كان اهتمام الحسين عليه السلام بالموعظة والنصيحة[٩] في بداية خطبته واضحاً فهو يقول عليه السلام: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ...)[١٠]. هذه الخطبة تعطينا دروساً أخلاقية وعقائدية وطريقاً ومنهجاً للانتصار على الباطل، هذه المعركة التي انتصر فيها الإمام الحسين عليه السلام منذ بدايتها وخسر الآخرون ذلك، لأن معركة الحق والباطل والشر والخير تبدأ في باطن

الإنسان، لذلك نرى جلياً تركيز الإمام الحسين في خطبته على الحديث عن دار الدنيا تارة والشيطان تارة أخرى وذكره التقوى، وهي أمور مهمة لخطاب الإصلاح أو مسيرة التغيير الاجتماعي والتكامل بنظر الإسلام.

يقول عليه السلام: (عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإن الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء غير أن الله خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل...)[11].

نقول إن المنهج هو طريق تحصيل المعرفة أو فهم الحياة بكل ما فيها من مفردات الفكر والرسالة والتاريخ والطبيعة وغيرها. وليس للعقل البشري أن يعمل إلا إذا استخدم منهجاً صحيحاً، والأزمة العقلية من التخلف والركود التي تصيب الأمة في بعض جوانبها نتيجة عدم الوصول إلى منهج منطقي صحيح.

والوعي هو فهم مجريات الحياة، فإن معظم مشاكل الإنسانية النفسية والشخصية والاجتماعية والسياسية وغيرها تأتي من الفهم الخاطئ والرؤية السطحية الساذجة. إن وعي الحياة يرتبط بفهم الرؤية الكونية، أي فهم مبدأ الوجود

والغاية منه، وفهم الذات الإنسانية، فما لم يحيط الإنسان بالعالم المحيط به إدراكاً ووعياً لا يستطيع أن يعرف موقفه من هذا العالم، قال تعالى: (**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**)[١٢].

بل إن وعي الإنسان لذاته ومعرفة نفسه يشكل الأساس لأخلاقياته وارتباطه بذلك المجتمع، ولكي تنهض الأمة وتخرج من محنتها من التحلل والانحراف لابد لها من إعادة النظر في وعيها للحياة. وأيضاً تحتاج الأمة للمبادئ لأن الأسس الفكرية والحضارية تسلك بالمصلحين وتوضح أهدافهم ويحدث التغيير على أساسها، فما لم يؤمنوا أنفسهم بها بإخلاص لا تنبعث الحركة والنهوض[١٣].

وهذا ما نراه في خطبة الحسين عليه السلام مذكراً أعداءه من خلال الموعظة تلك القلوب القاسية التي ران عليها حب الدنيا قائلاً: (عباد الله اتقوا الله) إن الخط الرسالي هو سعي الإنسان للوصول إلى ربه عز وجل وطاعته في حركاته وأفعاله وسلوكه قال تعالى: (**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**)[١٤]، ولكن دار الدنيا عقبة وأي عقبة تجذب الإنسان نحو مصالحه الشخصية، إن العبودية الحقة تنور عقل الإنسان الباحث عن حقيقة وجوده، ومآل أمره وفنائه، وانقطاعه من هذا العالم، عاملاً آخذاً بسنة النبي صلى الله عليه وآله، واعياً لأعماله وخوفه من الله تعالى ورجاء طاعته وثوابه، (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)[١٥].

إن العبودية هي البداية، والتقوى والعمل هي السلوك وسط الطريق وصولاً إلى غايته، ذلك الطريق الذي تثير فيه ملذات الدنيا وحبائل الشيطان مكامن النفس فيسقط الإنسان، فلذا نرى الحسين عليه السلام يعطف كلامه وينصحهم بالحذر من الدنيا وهي لم تدم لأحد حتى الأنبياء دار فناء وانقطاع فكيف العاقل يميل إليها، وهو خطاب يشيع نوراً عبر الأجيال وتستلهم الإنسانية منه دروساً في السلوك الأخلاقي. ثم ذكر عليه السلام التقوى قائلاً: (فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون)[١٦]، فناسب ذكر التقوى مع العبادة لأن العبادة والتقوى شيئان لا يفترقان، ثم دعاهم بصيغة النداء فقال عليه السلام: (أيها الناس إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها...)[١٧] للتذكير في أصل خلق الدنيا وعقد المقابلة بين هذا المقطع وسابقه يتضح لنا ما هو الجديد الذي يكون بالياً في دار الدنيا، والنعيم مصيره الاضمحلال، لأنها تزول والكل في صيرورة وحركة نتيجة تصرف الدنيا بأحوالنا، فأي شيء يبقى بعد ذلك إذا كان متغيراً فالجديد يصبح قديماً والنعيم ينتهي لمحدوديته ومن هنا ورد ذكر التقوى والتزود منها فهي الباقية في الدنيا والآخرة آثارها.

هنا بعد التذكير والموعظة بالمبادئ والقيم الإسلامية فإن الواقع أو الموجود الفعلي هو خلاف ما مفروض أن يكون

فالجيش الذي أمامه قد وقع في سوء الاختيار وأضل الطريق والمنهج الصحيح، فهم بعد إيمانهم برسالة الإسلام ابتعدوا عن الغاية، فالمبدأ هو طريقة وفكرة فالذي يعي فكرة ما عليه أن يبحث عن طريق للوصول إليها وإلا فإن البناء يتقوض، فهؤلاء القوم أقروا الطاعة، أي اعترفوا بها، وآمنوا بالرسول صلى الله عليه وآله، ولكن هذه القيم لم تكن رادعاً لهم ولم تجد لها تأثير في واقعهم العملي وسلوكهم الخاطئ من الإقدام على قتل ذرية الرسول صلى الله عليه وآله، إن الإقرار وحده لا يكفي، والفاصل بين القناعة والعمل هو أن لا يتلاعب الهوى والشيطان في إقامة الحق، لذا يقول عليه السلام: (وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم...)[18].

تعاضد حب الدنيا وزين لهم الشيطان أعمالهم وهما خطران يحدقان بالمجتمع الإسلامي يخرجانه عن الاستقامة واستحواذ الشيطان أي غلبته عليهم، فصدوا عن الحق والطاعة، إن من حقهم الطاعة لأنهم عترة النبي صلى الله عليه وآله لذا يقول الحسين عليه السلام: (زحفتم إلى ذريته وعترته) وقال في موضع آخر من المقتل (اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا إنك سميع قريب)[19] ■

---

(١) موجز سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ص١٥٦.
(٢) المصدر السابق: ص١٥٧-١٥٨.
(٣) يوم عاشوراء مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٣-٢٤.
(٤) مبادئ النهوض الاجتماعي، ص٥ فما بعد.
(٥) سورة يوسف/١٠٨.
(٦) سورة آل عمران/١٠٤.
(٧) موجز سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ص١٧٤.
(٨) المصدر السابق: ص١٧٥.
(٩) انظر: نهضة الحسين عليه السلام، هبة الدين الشهرستاني، ص٦١، طبع على نفقة الحاج عبد الشهيد النجار.
(١٠) يوم عاشوراء مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٣.
(١١) المصدر السابق: ص٢٤.
(١٢) سورة الروم/٧.
(١٣) انظر: في شروط النهضة، مبادئ النهوض الاجتماعي، ص٥ فما بعد.
(١٤) سورة الأعلى/١٤-١٧.
(١٥) سورة آل عمران/١٩٠-١٩١.
(١٦) يوم عاشوراء، ص٢٤.
(١٧) المصدر السابق: ص٢٤-٢٥.
(١٨) المصدر السابق: ص٢٥.
(١٩) المصدر السابق: ص٢٨.

البعد الأخلاقي..
للثورة الحسينية

د. جون العتابي •
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع ليس هناك ثورة من الثورات على مر التاريخ إلا وقامت لأجل هدف أو مجموعة أهداف مباشرة قريبة أو لأهداف وأغراض بعيدة المدى، خطط لها قادتها وعملوا على تحقيقها، ومهما كانت هذه الثورات وطبيعتها فإن الأغلب الأعم فيها تتحدد أهدافها بمقدار زاوية الرؤية التي ينظر من خلالها قادتها ورجالها، ولذا نجد أن التاريخ تجاهل كثيراً منها لتشابهها وتماثلها في الأهداف والغايات والنتائج كما أنه ليس هناك من ثورة خطط لها قادتها في البدء إلا وقد جعلوا النصر والفوز هو الاحتمال الأكبر وإلا لما أقدم هؤلاء على الثورة والاصطدام... وهي حالة لا استثناء فيها إلا ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهي ثورة كانت معلومة النتائج مسبقاً أقصد النتائج في ساحة المعركة هذه النتائج الأولية في الميدان، إذ سبق القول منه عليه السلام مصوراً المشهد الأخير لميدان المعركة وقبل وقوعها: (**الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله،**

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، ألا فمن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى)[1].

وفي هذه الرائعة الحسينية تصوير وتشبيه لهمجية ووحشية هذا الجيش الذي يقابله والذي يفتقد أبسط قيم الرجولة والأخلاق والأعراف السائدة آنذاك. إذ عمد بعد قتل الحسين عليه السلام إلى حرق خيامه وسلب نساءه وسوقهن أسارى إلى آخر الأفعال الشنيعة. ولذا نجد الإمام عليه السلام يقول: (**يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم أو كونوا عرباً كما تزعمون**)[2]، إشارة منه عليه السلام إلى ما يملك العربي الأصيل من قيم الرجولة.

إذن نحن أمام حالة من غياب الوعي والضمير الإنساني وفقدان الأخلاق لجيش ونظام يقدم على قتل الأطفال وسلب النساء وحرق البيوت... وبالمقابل هناك طرف آخر وجد أن الذي أوصل الأمور إلى هذا المستوى المتردي هو التغييب القسري لأخلاق هذه الأمة وفصلها عن دينها وتراثها وشرعتها والعود بها إلى جاهلية قبلية صنمية مقيتة أبعد ما تكون عن روح وأخلاق

الإسلام الذي جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وآله الذي حمل شعار (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وحمله من بعده آل بيته الأطهار، حتى كادت الأمة لا ترى من مخرج لهذا المأزق الكبير الذي تواجهه حين استسلمت لأفيون التخدير والاتباع والاستكانة، وتجرعت كأس الهوان إلى حد الثمالة.

لقد جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في بعض جوانبها رداً أخلاقياً على ذلك الواقع المرير صوره قول الإمام عليه السلام في بيانه الأول: (**وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي...**)[٣] فليس من خلق الحسين عليه السلام البطر ولا الظلم ولا الإفساد، إنما غايته يحددها في طلب الإصلاح وهو واجب شرعي وأخلاقي حكم به العقل والنقل، وهو هدف جميع الرسالات السماوية التي أرادت لهذا الإنسان أن يكون إنساناً كاملاً ليعمر الأرض ويخلف الله سبحانه فيها.

وفي جميع وقائع هذه الثورة ومراحلها المختلفة منذ بدايتها في المدينة ومكة مروراً بتفاصيلها الأخرى الصغيرة منها والكبيرة حتى الختام الدامي في كربلاء نرى تلك الأهداف التي سعى لها الحسين عليه السلام واضحة في سلوكه عملاً وقولاً.

إن ثورة الحسين عليه السلام لم تقف عند هدف معين بذاته بل جعل الإمام عليه السلام من ثورته نافذة واسعة على القيم والنظم الإسلامية جميعها ولم تقتصر على مقارعة الظلم والاستبداد في ساحة المعركة وإن كان هذا يكفيها ليجعلها من أهم وأبرز الانعطافات التاريخية في الحياة الإنسانية.

ومن أبرز وأظهر تلك القيم والأبعاد التي أصلتها الثورة هي الممارسة الأخلاقية في أحلك الظروف التي تمر بالإنسان، ليعطينا أبو عبد الله عليه السلام بذلك هذه الشهادة العظيمة عن نفسه، فإنه يرى الموت حالة تليق بالإنسان عندما لا يكون بوسعه أن يعيش حياته بعزة وكرامة وإباء، ولذا يقول: (**لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما...**)[٤]، ولا أعز عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام من أن يجعل نفسه وشخصه في أعلى المراتب الروحية بعيدة عن لوثة الدنيا عندما يكون الخيار الأفضل هو الموت. ومع هذا السعي الحثيث إلى الشهادة نجد تلك الروحية العالية والأريحية المتميزة والبذل والجود والعطاء والخلق الكريم متساوقاً مع شؤونه الأخرى في الحرب والسلم، من تلك المواقف التي لا يستطيع كل حر شريف إلا الوقوف عندها، فهذا الحر الرياحي حينما التقى الحسين عليه السلام قبل نزوله بكربلا مانعاً له من الرجوع إلى المدينة طالباً منه النزول على حكم الطغاة وما جرى بينهما من كلام، وقد اشتد العطش بالحر وأصحابه وخيولهم حينها طلب الماء من الإمام عليه السلام فسقاهم الإمام عليه السلام بيده الشريفة مما عنده من الماء ولم يأبه لقلته أو كثرته، وكان بوسعه أن يتركهم ليموتوا عطشاً في هذه البيداء.

وفي الليلة العاشرة من محرم الحرام يقف الإمام عليه السلام يكلم أصحابه وأهل بيته ويجعلهم في حل مما التزموا به ودعاهم إلى الذهاب عنه، لأن القوم لا يريدون غيره...

إن هذه المواقف العظيمة لا تنبع إلا من نفوس عظيمة ورثتها من منابع الطهر والعصمة.

إن حقيقة هذه الثورة هي ذلك الالتزام الأخلاقي الذي تجسد بعدم الاستسلام

للباطل، بل أن قبوله والاعتراف به أعطاه شرعية لوجوده مما يشكل أكبر هزيمة وذلة للإنسان، ولقد أريد للحسين عليه السلام أن يقبل الظلم ويستسلم أو يسالم الظالمين، ولذا كانت ردة فعل الإمام عليه السلام واضحة وصريحة حيث يقول: (... **هيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية**)[٥]. وهذا الموقف هذا الذي بقي وامتد ليرفد بعد ذلك حركة الإصلاح فيديمها ويخلق استمراريتها.

لقد كان لهذه الثورة هدف بعيد المدى يرمي إليه الإمام عليه السلام من خلال ثورته وهو إيقاظ وجدان الناس وإحياء الضمائر المجدبة، وأن يؤسس فيهم قاعدة روحية متماسكة الأطراف من الخضوع والخنوع تحت وطأة الظروف القاسية.

كان ذلك لينقذهم بالدرجة الأولى من طاغوت الباطن وهوى النفس الذي تمثله الأهواء والشهوات المقيتة والعلائق المادية، ومن هنا أصبح الحسين عليه السلام قائداً ورمزاً ربانياً خالداً للمسلمين ولكل الأحرار في العالم، ونبراساً يستضاء به في دهماء الخطوب ونوازل المحن ومشعلاً يحمله الثائرون ضد الظلم والجور والإفساد والاستبداد ■

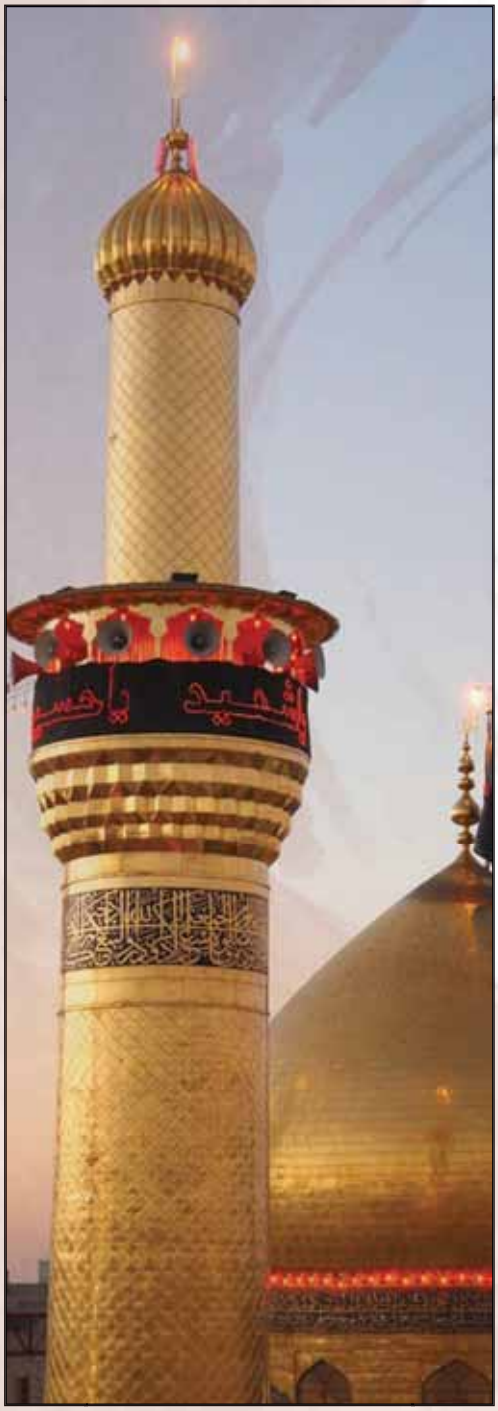

(١) بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٦٧.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٧١.
(٣) بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٢٩.
(٤) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٨.
(٥) مثير الأحزان ص:٤٠.

الشيعة وعاشوراء.. في غانا

هاشم سعدون •

ينابيع

ليس من الغريب أن ينقلب الإنسان على معتقده الذي آمن به، وقد ورثه من آبائه عن أجداده وتمسك به وربما دافع عنه بالغالي والنفيس، حتى وإن كان هذا المعتقد في الحقيقة لا يساوي جناح بعوضة، وأعظم مثال في تاريخ الإنسانية على ذلك هم سحرة فرعون الذين انقلبوا على دينه، إذ كان إلههم الأوحد وممدهم بالمال والجاه والسطوة، وكانوا هم الأكرمين في البلاط الفرعوني.

ولكن في لحظة من الزمن أوقفت عقول سحرة فرعون كل مساراتها العقدية الفرعونية وعكستها باتجاه عبادة رب العالمين، رب موسى وهارون، وإن قطّع فرعون أرجلهم وأيديهم من خلاف.

هذه الصورة الإنسانية تدفعنا بأن لا نستغرب عندما نعلم أن الملايين من سكان أفريقيا الوثنية أسلموا وجوههم إلى الله الواحد الأحد، وتركوا عبادة آبائهم، من الأوثان التي تنوعت بين تماثيل من الحجر لمسميات ابتدعوها، ولنجوم

ألّهوها، وأساطير أقنعوا أنفسهم بوجودها، فصاروا يعبدون الإله الواحد، ويدينون بدين رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله، وموالاة آل بيته الأطهار عليهم السلام، ويقيمون شعائرهم الدينية وخاصة في محرم الحرام في قلب أفريقيا حزناً على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

من شعوب أفريقيا التي دبّت الحياة الإسلامية في قلوب الكثيرين من أفرادها هي جمهورية غانا.

وقبل أن نعرف شيئاً وأشياء عن المسلمين الشيعة في غانا لابد لنا أن نتعرف على هذه الجمهورية القابعة في غرب أفريقيا، في سطور قلائل.

جمهورية غانا إحدى دول القارة الإفريقية، عرفت قديماً باسم ساحل الذهب نالت استقلالها من المملكة المتحدة في السادس من مارس ١٩٥٧م، بعد مرحلة من الكفاح والنضال.

تقع غانا وعاصمتها أكرا في غرب القارة الإفريقية، تشترك في حدودها مع عدد من الدول المجاورة فتحدها من الشمال بوركينا فاسو، ومن الغرب ساحل العاج، ومن الجنوب خليج غينيا، ومن الشرق توجو.

تبلغ مساحة غانا ٢٣٩،٤٦٠ كم٢، وعدد سكانها ٢٢،٩٣١،٢٩٩ نسمة.

أما اللغة الرسمية للبلاد فهي الإنجليزية بالإضافة لعدد من

اللهجات المحلية.

تمتلك غانا من مظاهر السطح المختلفة، حيث يوجد فيها السهول المنبسطة التي تمتد في الشمال والجنوب، وكذلك الهضاب المنتشرة في وسط البلاد التي يسري في ربوعها ثلاث أنهر هي أنكوبرا، وبرا، وتانو، بينما تنتشر الغابات في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد.

خضعت غانا للاستعمار البريطاني لعدد كبير من السنوات بلغت أكثر من ٦٠ عام، وذلك في الفترة ما بين ١٨٩٦ – ١٩٥٧، وكانت غانا هي أول المستعمرات التي حصلت على استقلالها في جنوب إفريقيا، ومع إعلانها للاستقلال قامت بتغيير اسمها من ساحل الذهب(الاسم الذي أطلقه عليها الاستعمار البريطاني) إلى غانا،

وفي عام ١٩٦٠م تم إقرار دستور جمهورية غانا، بعد حصولها على الاستقلال[١].

تضم جمهورية غانا خليطا ديموغرافياً متعدد الأجناس يضم قبائل زنجية مثل أشانتي والموسي والايوي والكوماسي والمامبروسي واليوريا، هذا إلى جانب جماعات من الهوسا والفولاني التي قَدِمَت من الشمال بعد اعتناقها الإسلام، كما يوجد في المجتمع الغاني جماعات كثيرة مهاجرة من البلاد المجاورة، وهي التي تشرفت بنقل الإسلام إلى جنوب غانا، وكان أول وصول للإسلام إلى هذه المنطقة في نهاية القرن الخامس عشر عندما هاجرت إحدى قبائل الماندي من حوض النيجر نحو الجنوب الغاني حيث إقليم الغابات الغني بمنتجاته.

أما التنوع الديني في المجتمع الغاني فهو يضم الغالبية المسيحية، ثم يأتي بعدها ديانات محلية تمثل الموروث الديني الشعبي لكثير من قبائل غانا القديمة، والقسم المتبقي من السكان فيشغله المسلمون بالإضافة إلى نسبة ضئيلة من الذين لا يتّبعون ديانة معروفة.

المناطق الشمالية من غانا هي أول أرض غانية تشرفت بدخول الإسلام إليها، وذلك بعدة طرق منها النشاطات التجارية التي قام بها بعض التجار من شمال أفريقيا والسودان، وكذلك عن طريق المهاجرين المسلمين في نيجيريا، والذين فروا إلى المناطق الشمالية الشرقية من غانا هرباً من الحركات الجهادية الأصولية في نيجيريا وذلك في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي[٢].

أما مذهب أهل البيت عليهم السلام المتمثل بالشيعة الإمامية في غانا، فقد انتشر بسرعة البرق في الربع الأخير من القرن الماضي، وذلك عن طريق التجار اللبنانيين الشيعة الذين أسسوا شركات لهم على أرض غانا، يسوقون من خلالها الكاكاو والبن والذهب وغيرها من المنتجات التي تشتهر بها هذه البلاد.

أما الطريق الآخر الذي انتشر به مذهب أهل البيت عليهم السلام، هو البعثات الدبلوماسية وسفارات بعض الدول الإسلامية، مثل إيران وسوريا ولبنان.

ولأن الفكر الشيعي، فكر واضح ويعتمد على الدليل البيّن والحجة القاطعة، لقي قبولاً كبيراً وخاصة بين الشباب المتعلم في هذه البلاد مما ساعد في انتشاره كالنار في الهشيم حتى بلغ تعداد الشيعة على وجه التقريب ما يزيد

على المليون ونصف المليون شيعي[٣].

من أجل الاطلاع عن كثب لأحوال الشيعة في هذه البلاد، اتصلنا بأحد الشخصيات الشيعية في غانا وهو الشيخ سليمان يعقوب بنداغو، رئيس مؤسسة الثقلين، لينقل لنا صورة مختصرة عن تاريخ الشيعة وصور من حياتهم، فاستجاب الرجل جزاه الله خير الجزاء، وبعث لنا بعض المعلومات والصور مفادها:

إن الشيعة في غانا يعيشون بحرية ويعاملون من قبل الحكومة بكل احترام وتبجيل لا يلقاه الشيعي في غير هذه البلاد المسيحية الكثيرة، كالبلاد الإسلامية والعربية، حيث يمارس الشيعة حقهم في التعبير عن معتقداتهم وإقامة شعائرهم الخاصة بهم من مواكب عزائية ومواليد وغيرها في المناسبات الشيعية المختلفة.

وأضاف الشيخ سليمان إن للشيعة مراكز ثقافية وجمعيات ومدارس تعليمية في غانا ولا ينقصهم شيء سوى التمثيل الرسمي في البلاد الذي حرموا منه لأسباب عديدة منها ضعف إمكاناتهم المادية، وهيمنة بعض الطوائف منها القادرية والصوفية وحتى الأحمدية، وهم طائفة يحسبون أنفسهم على المسلمين، ولكن رغم ذلك يحظى الشيعة عند الحكومة المركزية والمحلية بمكانة خاصة تميزهم

عن غيرهم، ولهم علاقة متوازنة مع الجميع، وخاصة في المناسبات التي تفعّلها الجمعيات والمؤسسات الشيعية، حيث تقام المؤتمرات والندوات وكذلك الاحتفالات بمناسبات وفيات ومواليد المعصومين عليهم السلام، فيُدعى لها من كل الطوائف المسلمة والمسيحية والشخصيات الشعبية في غانا والمسؤولين في الحكومة الذين طالما لبوا الدعوات لزيارة المدارس والمراكز الثقافية الشيعية مما خلق علاقة مميزة بين الطرفين يسودها الثقة لدى الحكومة، بأن الشيعة مواطنون مخلصون لهذا البلد رغم اختلافهم الديني عما يدين به الأغلبية من سكان غانا.

وللشيعة في غانا مؤسسات ومراكز ثقافية وجمعيات، على قلة إمكاناتها المادية إلا أنها تعتبر من الأسباب الحقيقة لديمومة التواصل بين الشيعة في جميع أنحاء البلاد، وكذلك لها دور أساسي في تجمعات الشيعة في المناسبات العديدة التي تقيمها في وفيات ومواليد المعصومين عليهم السلام، ومن هذه المؤسسات والمراكز:

١- مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام.
٢- مؤسسة الثقلين (المستقلة).
٣- مجمع أهل البيت عليهم السلام.
٤- حركة شباب أهل البيت عليهم السلام.
٥- جمعية غانا الشيعية.
٦- مركز الإمام الجواد عليه السلام.
٦- مؤسسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

أما المدارس والمعاهد الدينية التي يلجأ إليها طلاب العلم والدين فهي متعددة بتعدد الجهات الداعمة وتعدد المناطق والمدن الغانية ومنها على سبيل المثال:

١- معهد أهل البيت عليهم السلام للدراسات الإسلامية، مؤسسها المرحوم الشيخ عبد السلام بنسى في أكرا.
٢- مدرسة أهل البيت عليهم السلام في أكرا.
٣- مدرسة الزهراء عليها السلام في أكرا.
٤- مجمع الإمام المهدي عليه السلام في أشاما.
٥- مدرسة الإمام المهدي عليه السلام في غموا أبوواسى.
٦- مدرسة سيد الوصيين عليه السلام في كتوبابى.
٧- مدرسة سفينة الهدى في أشاما.
٨- مدرسة الإمامين الحسنين عليهما السلام في كاسوا.
٩- المدرسة الجعفرية الإسلامية في سلغا.
١٠- مدرسة الإمام علي عليه السلام في تمالى.
١١- المدرسة الحسينية في تشيما.

من أعظم ما يعبر عن وجود الشيعة في جمهورية غانا هي الشعائر الحسينية في محرم الحرام، وخاصة في العشرة الأولى منه، حيث تقام المآتم العزائية والاحتفالات التي تتشح بالسواد وكلمات الأسى والحزن على مصاب سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فقبل أيام من قدوم شهر الحزن والإباء محرم الحرام يتهيأ الشيعة وخاصة في العاصمة أكرا لتأدية برنامج العشرة الأولى من هذا الشهر، فينشر السواد وترفع الرايات وتقام المجالس الحسينية في كل يوم وصولاً إلى يوم عاشوراء، حيث يتوافد الشيعة من جميع بقاع جمهورية غانا إلى العاصمة

ليشاركوا في عزاء الحسين عليه السلام، فيجوبون شوارع العاصمة أكرا متشحين بالسواد ويوزعون مقالات مكتوبة عن مأساة كربلاء وما حدث فيها على العترة الطاهرة من آل الرسول صلى الله عليه وآله، ثم بعد ذلك يتجمعون في مركز أهل البيت عليهم السلام، أو في جامع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث يقرأ المقتل الحسيني من قبل أحد رجال الدين الذي يحسن الخطابة، بعدها تلقى بعض الكلمات والمحاضرات التي يُبيَّن فيها فكر أهل البيت عليهم السلام ومظلومية آل النبي محمد صلى الله عليه وآله، والعبر والدروس المستخلصة من الأحداث التي جرت في العاشر من محرم الحرام، والأهداف التي قامت عليها نهضة الحسين عليه السلام وما حققته من نتائج فيما بعد من حفظ قواعد الدين الحنيف، والتأسيس لقواعد عقائدية في الجهاد والوقوف بوجه الظلم والجور ظلت قائمة إلى يومنا هذا يتمثل بها حتى ممن هم ليسوا على دين الحسين عليه السلام.

بعد تمام قراءة المقتل وإلقاء المحاضرات يبدأ التعبير عن الحزن والأسى على استشهاد سبط الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وذلك باللطم والبكاء تفاعلاً مع كلمات الخطباء من رثاء وأشعار بسيطة في كلماتها عظيمة في معانيها لأنها مرتبطة بمدد من فيض إلهي لا ينضب أسمه رحمة الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

وبعد انتهاء مراسم اللطم والبكاء توزع الأطعمة والأشربة وما تجود به أيدي المتبرعين من المسلمين.

والملفت للنظر أن هذه الشعائر يُدعى لها شخصيات وطنية وشعبية يمثلون معظم الطوائف والمذاهب الدينية في البلاد، وهي فرصة سانحة لتعرف الآخر على سلوك وخصائص وشعائر شيعة أهل البيت عليهم السلام، وربما التحول الاعتقادي والاستبصار بهذا المذهب الحق.

وعلى وجه التطابق تقريباً يعاد هذا المشهد من مراسم عزاء وحزن واستذكار في أربعين الإمام الحسين عليه السلام، أي في العشرين من صفر حيث يُستذكر رجوع سبايا رسول الله صلى الله عليه وآله من الشام إلى العراق ثم إلى مدينة جدهم، وما مر عليهم من ظلم وقسوة من قبل بني أمية الملعونين في كتاب الله الحكيم، ويتفاعل الكثير من الحاضرين فتضرب الصدور وتذرف الدموع كما هو واضح في بعض الصور التي وصلتنا من غانا في عاشوراء السنة الماضية.

بالإضافة إلى ذلك تُجمع التبرعات من أهل الخير، فتوزع على الفقراء والمحتاجين أو تُذخر لصرفها في مناسبات أخرى من مناسبات الشيعة كوفاة النبي ووفاة أمير المؤمنين أو وفاة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، أو حفلات مواليد المعصومين عليهم السلام.

هكذا يفعل الحسين عليه السلام في القلوب وإن كانوا يعيشون في أعماق القارة السوداء وقد كانوا يعبدون الأصنام والرموز الأسطورية، وإذا بهم يؤمنون بالله الواحد الأحد وينوروا قلوبهم بمحبة آل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، ويتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة بسلوكهم طريق الحسين عليه السلام والأخذ بتعاليم مدرسته العظمى مدرسة ملحمة الطف الخالدة، ويسيرون في شوارع إفريقيا الفقيرة وهم يحملون لافتات كتبت عليها شعارات حسينية مختلفة مثل (أيها المسلمون انتبهوا، لا تتخذوا اليوم العاشر من محرم الحرام عيدا وفرحاً، إنه يوم استشهاد ابن علي وفاطمة عليهما السلام) وكذلك (أيها الأخ المسلم اعلم أنه لا يمكن التفريق بين رسول الله وبين أهل بليته، فإن ذلك من النفاق) وفي لافتة أخرى طبعت عليها صورة لرمز من رموز الشيعة في غانا وهو الشيخ عبد السلام بنسى والذي بذل الغالي والنفيس من أجل نشر راية محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين في ربوع أرض غانا، وكتبت إلى جانب صورته مقولة كان يرددها هذا الشيخ كل حين (عهداً يا رسول الله على نهج أهل بيتك سائرون).

نعم هكذا آمنوا وتعاملوا وهم حتى لا يجيدون نطق كلمة عربية واحدة، أو يزوروا ضريح الحسين عليه السلام حتى في المنام.

حفظ الله شيعة غانا وأدام عليهم بركات عاشوراء، وما كان لله ينمو وإن كان في أعماق البحار ■

---

(١) The world factbook، cia.gov

(٢) Historical Dictionary Of Women In Sub-Saharan Africa By Kathleen E. Sheldon

(٣)وثقت هذه المعلومات عن طريق المراسلة مع شخصيات إسلامية معروفة في غانا.

صورة من الطف..

قال علي بن الحسين (عليه السلام): لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجلت قلوبهم، وكان الحسين (عليه السلام) وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت!

فقال لهم الحسين (عليه السلام): صبراً بني الكرام! فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائمة. فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟! وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إن أبي حدثني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت.

بحار الأنوار ج:٦ ص:١٥٤

قراءة في كتاب..

الدوافع الذاتية لأنصار الحسين(ع)

تأليف: محمد علي عابدين

د. حيدر نزار السيد سلمان •
الكلية الإسلامية الجامعة

تنابيع كانت ولازالت قضية استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء تحظى باهتمامات وكتاب ودراسات تنوعت بين الجوانب التاريخية والفكرية والإعلامية والاجتماعية وغيرها من الجوانب المثيرة لاهتمام الباحثين ولا نبالغ إذا قلنا إن قضية الحسين عليه السلام حازت الاهتمام الأوسع وتناولتها أقلام الباحثين من كل أنحاء العالم ومن مختلف الأعراق والأديان فكانت أكبر الدراسات وأوسعها هي ما كانت القضية الحسينية محورها ومرتكزها وليس هذا فحسب بل إنها كانت موضع اهتمام من أرباب الفنون رسامين وتشكيليين ومسرحيين وسينمائيين فعلى سبيل المثال فقد جسدت لوحات الفنان العراقي الكبير كاظم حيدر الملحمة الحسينية وقصة استشهاد أبو الأحرار وإبراز الجوانب القيمة والبطولية في هذه الملحمة وكذلك الأمر في مسرحيات عبد الرحمن الشرقاوي عن الإمام العظيم الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فضلاً عن آلاف القصائد التي فاضت بها قرائح شعراء كبار ومن مختلف الأديان

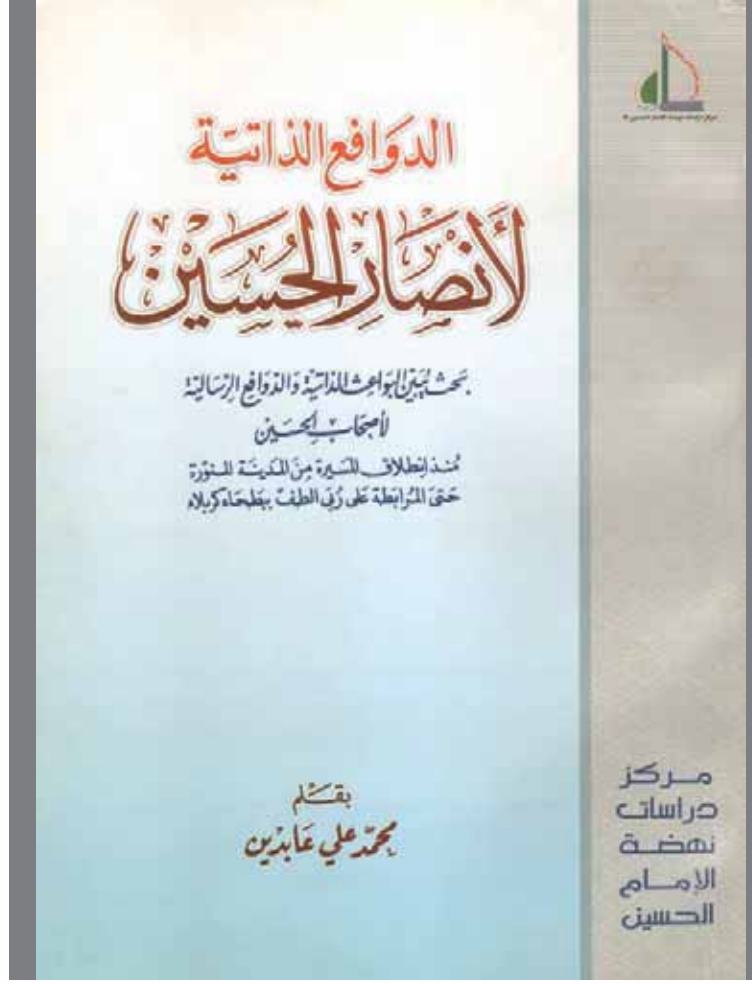

فإمامنا الحسين عليه السلام غدا رمزاً للإنسانية وللمظلومين في العالم ونبراساً للأحرار في كل مكان، ولذلك زادت الدراسات وتوسعت عن النهضة الحسينية ولم يبقى مجال إلا ودخله الباحثون والكتاب لتناول الرموز والقيم والمعاني المتعلقة بالواقعة العظيمة أو بالإمام عليه السلام نفسه أو بأصحابه الذين افتدوا الإسلام وإمامهم بأرواحهم.

ولما كانت البحوث والدراسات لم تقتصر على منحى واحد بل سارت في اتجاهات متعددة فإن أنصار الإمام عليه السلام الذين استشهدوا معه في كربلاء انصب عليهم الاهتمام الفكري والعلمي وكانوا محوراً لدراسات متنوعة تناولت سيرهم وقصص صمودهم وبطولاتهم واستشهادهم لأنهم شكلوا بأرواحهم وأجسادهم لوحة الشهادة الخالدة وقصة الفداء العظيم وقضية طاعة الإمام عليه السلام المعصوم والدفاع عنه وبالتالي الدفاع عن دينهم والحفاظ على عقيدتهم من عبث الطلقاء والخارجين عن الدين والمارقين الذين انقضوا على زعامة الأمة انقضاضاً بلا حق أو شرعية ففسدوا وتجبروا وانتهكوا الحرمات وحينها لم يبق إلا التصدي لهم والوقوف أمام محاولات طمس الإسلام والعودة إلى الجاهلية لإثبات حقيقة الروح الحية المدافعة القوية التي لا تحتمل المس بالمقدسات.

ولتكن وقفة إمامنا عليه السلام وأصحابه صرخة حق وقدرة على مواجهة المتربصين بالدين، وفي هذا السياق وبحثاً لموضوعة جديدة وجديرة بالبحث والمناقشة فقد جاء كتاب محمد علي عابدين الموسوم (**الدوافع الذاتية لأنصار الحسين عليه السلام بحث يبين الدوافع الذاتية والدوافع الرسالية**) إذ تناول المؤلف التفريق بين الدوافع المختلفة لأصحاب الحسين عليه السلام منذ انطلاق مسيرتهم من المدينة المنورة حتى مرابطتهم على أرض الطف كربلاء المقدسة والكتاب صادر عن مركز دراسات نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

قسم الباحث دراسته (الكتاب) إلى ثلاث أبواب تناول الأول منه المرحلة الأولى من الملحمة الحسينية المحصورة بالمدة الزمنية لتحرك الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ومن ثم مغادرته مكة وبحث المؤلف في هذه المرحلة الموقف في مكة قبل المغادرة والعوامل الاجتماعية الفاعلة فيها بما فيها حركة المعارضين للحكم الأموي الذين تخلفوا عن الالتحاق بمسيرة الإمام الحسين عليه السلام دون مبرر شرعي أو اجتهاد وهو ما يتلاءم مع موقف أشخاص ضعفاء الإرادة الذين أيدوا الثورة في البداية ثم تخلوا عنها فيما بدت على وشك الحصول.

ودرس المؤلف في الباب الثاني الفترة الزمنية المحصورة بالرحيل من مكة المكرمة إلى العراق حتى وصوله مدينة كربلاء وفي هذه المرحلة انضم عدد من المجاهدين الحقيقيين بالثورة الحسينية وانفض عن هذه الثورة جموع غفيرة تقهقرت لعوامل يدرسها المؤلف في هذا الباب وبالفعل فإن هذه المرحلة اتسمت بخطورة الموقف وصعوبته بما يتطلب إرادة ذاتية قوية تجعل من الأنصار الثبات والمقاومة والصبر على ما سيؤول إليه مصيرهم وقت التقاء جيش الحق وجيش الباطل.

أما الباب الثالث فقد بحث فيه المؤلف المدة الزمنية المحصورة بين وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مدينة كربلاء إلى حين يوم العاشر من محرم إذ تجمع

رجال الثورة الحسينية في ساحة كربلاء عدة أيام قبل وقوع المعركة وتميزت هذه الفترة بانضمام والتحاق أنصاراً جدد للركب الحسيني الثائر من مدينة الكوفة وفي هذا الوقت خيّر الإمام عليه السلام العظيم أنصاره بين البقاء معه أو الرحيل تاركاً الأمر لهم في حق الاختيار بين الحق والباطل.

والحقيقة إن المؤلف قد نجح في وضع خطة محكمة لبحثه ودراسته عندما قسمها إلى أبواب حسب المدد الزمنية مراعياً طبيعة التحولات الجارية على مشهد النهضة الحسينية منذ بداياتها الأولى وانطلاق المعارضة للحكم الأموي في المدينة المنورة والتغيرات الحاصلة في المواقف عند الكثيرين من حالة الرفض والمعارضة إلى الخضوع بالواقع الفاسد والمؤلف بذلك يحاول تشخيص الحالات السلوكية الذاتية الطارئة مع كل حركة تتقدم باتجاه الفعل الاستشهادي والمتمثل بالمعركة العظمى معركة كربلاء إذ يأخذنا الباحث معه في سرد تاريخي تقويمي وفي مرات أخرى تفكيكي لعناصر الحدث الرئيسية الممثلة بالشخصيات التي تظهر على طول الفترات المتتابعة إذ نرى في كل مدة زمنية ينسحب البعض ممن خارت قواه ويلتحق آخرون بالمسيرة لحسينية دفاعاً عن الإسلام العظيم وطاعة للإمام المعصوم في الوقت نفسه تظهر الدوافع الذاتية المؤثرة وفي هذه الحالة فإن المؤلف يفرق بين الدوافع السلبية والدوافع الإيجابية إذ يشير إلى ذلك من خلال التأكيد على إن الإسلام العظيم يدعو إلى الوعي بالعمل والتصرف بالشعور

وهذا ما يشير إليه في مقدمة كتابه: (إن مفاهيم الإسلام لا تسمح بممارسة عمل دونما وعي له واستحضار الشعور معه ولا تؤيد العفوية واللامبالاة والانجراف بإيحاء اللاشعور والانحدار في تيار السلوك الجمعي ذلك إن الإسلام يدعو إلى الوعي والقصد في كل نشاط).

وهنا يؤكد المؤلف على ضرورة اتخاذ العقل كحاكم للتصرف وهو يرفض بوضوح الانجراف وراء سلوك الجمعي وهي التفاتة ذكية من المؤلف يحاول من خلال إثبات حقيقة إن الشهداء من أنصار الإمام الحسين عليه السلام كانوا مدركين بوعي وشعور كامل الدور التاريخي الثوري الذي يؤدوه ويقوم برسم صورته الخالدة أي أنهم لم يتصرفوا بدافع الصلات القرابية والعائلية بل إن اندفاعهم كان واعياً وهذا ما تؤكده حقيقة التوزيع المميز لأنصار الإمام عليه السلام على الأصول القبائلية والعرقية المتنوعة إذ كانوا من مختلف القبائل والأعراق كان جامعهم الأكبر الإسلام والوعي بخطورة المرحلة وضرورة إحداث التغيير بالقيادة الشرعية التي مثلها الإمام الحسين عليه السلام، وكما يؤكد المؤلف فالسائرون بالركب الحسيني كانوا مدركين وواعين لمعنى الجهاد الإسلامي بمعناه وجوهره ومبدئه ولم يكن هدفهم من ذلك الوصول للحكم والسلطة فهم بوعيهم اندفعوا فادين أرواحهم بلا جبر أو إغراء كانوا يشكلون

مسيرة الأحرار العارفين والواعين بالخطر المحدق بلا مشجعات وإغراءات إلا الجنة بينما كان المعسكر المقابل دافعه إما الإكراه من الحاكم المتجبر عبيد الله بن زياد أو الإغراءات المتنوعة التي قدمتها حكومة بني أمية لمن يشارك في قمع الثورة الحسينية.

وفي دور التعبئة والعمل على تحريك الدوافع الذاتية فإن الإمام الحسين عليه السلام قام بتصفية ما سار معه من أنصار حرصاً منه على إظهار جبهة الثوار بمظهرها الرائع واللائق عبر التاريخ فأبعد العناصر الانتهازية والنفعية وأرهب العناصر الضعيفة الجبانة عندما أنذر بما ينتظرهم من مصير محتوم وجهاد عظيم فانسحب ذوي الأغراض والأطماع عشاق الغنائم لتبقى القلة النوعية الأصيلة المدفوعة بدوافع الغيرة الإسلامية والعنفوان التاريخي بوصفها صانعة لتاريخ جديد يعيد للإسلام مكانته وهيبته.

والحقيقة إن الموقف الحسيني في تخليص أنصاره من العناصر الضعيفة الخائفة كان له بعده المستقبلي عندما ظهرت هذه الثورة كأعظم الثورات في تاريخ البشرية بلا نفعيين أو ضعفاء، فالملحمة الحسينية لا تضم إلا المجاهدين الأبطال وهم الجوهر الحقيقي للإسلام الأصيل والروح الفدائية التضحوية فكانوا التاريخ الأشرف والأبهى للبشرية وهذا ما جعل هذه الثورة تمتد بتأثيراتها الروحية والفكرية والتنويرية إلى خارج النطاق الإسلامي شاملة النطاق الإنساني ككل عندما نلاحظ هذا التأثر بالطهرانية الكربلائية يتجسد في مقولات وأفكار الثوار العالميين في مختلف أرجاء الأرض متخذين من الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره كأمثلة رائعة لقوة العقيدة والطهر الثوري.

فالإمام العظيم عليه السلام يؤكد ويثبت تفرد هذه الثورة حتى في مسيرته إلى كربلاء كما يذكر ذلك المؤلف فكان مسيره على الطريق الرئيسي العام المعتاد سلوكه من قبل الناس ذهاباً وعودةً ولم يتركه إلى طريق معزول خفي بدعوى تجنب الصدام أو الخوف من معارضته السلطة وأجهزتها القمعية وهي مغادرة ورحلة تحدي للسلطة علنية وقد رفض الإمام الحسين عليه السلام رأي من أشار عليه بضرورة تجنب السير العلني قائلاً: (لا والله لا فارقت هذا الطريق أبداً حتى أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى).

يشير المؤلف إلى واحدة من الانعطافات المهمة في المسيرة الحسينية وتتمثل بالتحاق زهير بن القين البجلي بأنصار الإمام الحسين عليه السلام والدوافع الذاتية الواعية التي جعلت من هذا الرجل أحد شهداء كربلاء مخلداً في سجلات التاريخ بعد أن وعى وتبصر وأدرك الحق وسار معه بلا خوف أو خشية ومن دون إكراه وإغراء بل هي الهداية والعقل الواعي الذي عرف أصل الحق وأين موقعه فكان انضمامه لمعسكر الإمام عليه السلام دليلاً على تلك الدوافع الإيجابية القاصدة إلى الدفاع عن الإسلام والوقوف بوجه أعدائه رغم معرفة زهير بن القين بحقيقة الوضع العام السياسي والعسكري وما يحدق بأنصار الحسين عليه السلام من مخاطر عندما تجمعت عليهم كل السيوف والنبال وأصحاب المطامع لكنه كان قد آمن إن هذا هو طريق الحق ولابد من السير فيه

تحت قيادة الإمام الحسين عليه السلام وبالمقابل فإن هذه الدوافع النبيلة السامية الإيجابية تقابلها دوافع سلبية دنيوية أساسها الإكراه والإغراء وليس أمراً آخر فكانت دوافع الجيش الأموي الذي تجمع لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره هي دوافع الشر والتحرك بلا وعي وإدراك لما يحدث ويجري عندما سادت عند البعض روحية التحرك الجمعي غير المدرك فما كان الخوف من القتل والسجن دافعاً لآخرين وهكذا اجتمعت الدوافع السلبية غير النزيهة عند جيش العدو المتنافر الغريب الأطوار حتى وصف المؤرخ والجغرافي البلاذري حالة الخوار والضعف والتردد التي انتشرت في أوساطه لتكشف عن حالة الدوافع الحقيقية وراء تجمع وتحرك هذا الجيش فهو يقول: (إن القائد الأموي يبعث على ألف مقاتل لا يصل إلى كربلاء إلا ومعه: ثلاث مائة أو أربع مائة أو أقل من ذلك فهم يفرون كراهة منهم لهذا الوجه).

وبذلك تظهر الفوارق بين الدوافع الذاتية، الدافع لجيش الحق ممثلاً بأنصار الإمام الحسين عليه السلام، وجيش الباطل ممثلاً بالجيش الأموي، فأنصار الإمام الحسين عليه السلام وكما يشير إلى ذلك المؤلف في كتابه (**الدوافع الذاتية لأنصار الحسين عليه السلام**) كانوا من الثبات والقوة والصلابة ما يؤكد قوة الدافع ونزاهته كما هو حال بشير الحضرمي الذي رفض مغادرة أرض المعركة على الرغم من الأسباب التي تعذره بالانصراف وطلب الحسين عليه السلام منه ذلك لكنه أجاب الإمام العظيم عليه السلام بقوله: (أكلتني إذن السباع حياً إن فارقتك وأسأل عنك الركبان وأخذلك مع قلة الأعوان لا يكون هذا أبداً يا أبا عبد الله).

حتماً إن القارئ لهذا الكتاب سيجد تفسيرات لأمور شهدتها ملحمة الطف ولمواقف بطولية نادرة لا تأتي من دوافع مادية بل هي دوافع ذاتية إيمانية ولعل المنفعة الأكبر تمتد إلى خطباء المنبر الحسيني في تطوير هذا الخطاب وتقديم رؤى وطروحات جديدة تجعل المتلقي أكثر التصاقاً بهذا الخطاب إذ يمكن للخطيب أن يجد في هذا الكتاب ما يسد فراغاً فكرياً غاية في الأهمية بل إن في هذا الكتاب من اللمحات والمواقف التي تدلل على فلسفة الشهادة الكربلائية وقيمة البطولة في صنع التاريخ والفكر الحيوي البعيد لهذه الملحمة الخالدة ■

لماذا اختار الإمام الحسين(ع) العراق موطناً للشهادة ؟

أ. م. د. هادي عبد النبي التميمي •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

عندما قرر الإمام الحسين عليه السلام القيام بالثورة كان قد أعدّ لكل شيء عدته، فضلاً عن كونه قد حدد الوجهة التي هو متوجه إليها، إذ أنه منذ اللحظات الأولى لخروجه وقبل أن تصله رسائل أهل الكوفة صرح في أكثر من موضع أن وجهته ستكون العراق وأن محله الكوفة حيث شيعته وشيعة أبيه عليه السلام، وكأي قائد عسكري محنك فانه لم يغادر صغيرة أو كبيرة إلا وأخذ العدة لها، فكان ابتداء أمره وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: (وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفِ عني شيئاً من أمورهم)[1]، في خطوة منه للتعرف على تفاصيل ما يجري في الحجاز بغيابه.

ثم كتب وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية قبل خروجه إلى مكة موضحاً فيها غايته وأهداف اعتراضه والتي يمكن أن

تعدّ البيــان الأول للثورة الحســينية ومنها: إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالمــاً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فــي أمة جــدي، أريد أن آمــر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بقبول الحق[٢].

تحرك الركب الحسيني إلى مكة، سالكاً الطريــق الأعظــم مــن دون أن يتنكب عن الطريق، أو يسلك الطرق الفرعية في تحدٍ واضح للسلطة الأموية[٣]، وقد تضمن ذلك الخروج العلني وإشــهار المســير إلى مكة نوعاً من التعبئة للرأي العام الإســلامي[٤]، إذ حــرص أبو عبد الله عليه السلام علــى أن تكون ثورته جماهيرية التأثير والاستمرار برغم أنه كان عارفــاً بالظروف الموضوعية التي يعيشــها المجتمع الإسلامي آنذاك، ويعلم أن الأمــة لن تســتجيب لصوته اســتجابة ســريعة إلاّ أنــه أصــرّ إلاّ أن يوصــل أنباء نهضته إلى ســائر البلاد الإسلامية لإيجاد جمهــور لثورتــه ســواء أكان ذلــك علــى مســتوى الاســتجابة العاجلــة المتمثلة في النخبــة التــي ضحت معه أم على مســتوى من ينضــم إلى جمهــور الثــورة فيما بعد الواقعــة، وهذا الحرص مــن الإمام يمكن ملاحظتــه من إعلانه عن عزمه على الثورة في البيت الحرام وفي موســم الحج حيث التجمع الســنوي للمســلمين مــن مختلف البلدان الإســلامية وتصريحه بالدعوة إلى الشــهادة والتضحية[٥]، إذ لــم يكن خروج

الإمام الحسين عليه السلام مع جماعته من المدينة إلى مكة فراراً من مطالبة الوالي إياه بالبيعة ليزيد كما يذكر ذلك بعض الكتّاب[٦]، إذ لو كان ذلك الخروج فراراً لسلك مسلك عبد الله بن الزبير في الذهاب إلى مكة من خلال اتباعه الطرق الفرعية ليفوت على السلطة الأموية فرصة اللحاق به[٧].

ولم يكن الذهاب الى مكة والتجاءه إليها احتماءً بالبيت الحرام من الذل والإرغام[٨]، ودليلنا إلى ذلك النصوص الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام لناصحيه بالبقاء في مكة وعدم الخروج منها إلى العراق إذ كان يذكر استهداف بني أمية لشخصه، وأنهم يتعقبونه في كل مكان، وأينما يكون، وأنه ميت على أي حال سواء بقي في مكة أم خرج منها، وأن بني أمية قد صمموا على تصفيته ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة وأنه كان حريصاً ألا تنتهك حرمة الحرم الشريف بسفك الدماء فيها[٩] وهذا ليس كلام شخص خرج ليلوذ بالحرم الذي اقتنع بأن بني أمية لا يتورعون عن انتهاك قدسيته.

فلم يأتِ خروج الإمام الحسين عليه السلام رضوخاً لحالة من الخوف وإنما أراد أن يلفت النظر المسلمين من مكة إلى قيامه ودوافعه وأهدافه، وأن يستعرض المواقف العامة للناس، ويشدّ اهتمامهم[١٠]؛ فلاشك أن الحسين عليه السلام قد أصبح محطة للمعتمرين وأهل الأمصار الذين وفدوا لأداء مناسك الحج طيلة الأربعة أشهر التي أمضاها قبل مغادرة مكة ولم يُخف نيته بالخروج على يزيد وحكمه بدليل أنه تلقى نصائح عدد من وجهاء الأمة المشفقين عليه من الخروج على يزيد مخافة قتله وفشل ثورته[١١].

ومن ناحية أخرى مثّل خروج الحسين عليه السلام إلى مكة وإباءه البيعة بارقة أمل لمن يرغبون في التخلص من بني أمية والسير خلف راية أهل البيت عليهم السلام[١٢] إذ كان العراق في هذا الوقت ملتهباً بعد أن علم أهله بهلاك معاوية وبيعة يزيد، وخروج الحسين عليه السلام إلى مكة رافضاً البيعة فعقدت في الكوفة الاجتماعات المناهضة للسلطة الأموية فاجتمع الكوفيون في بيت سليمان بن صرد الخزاعي[١٣].

وقد شاركت البصرة الكوفة في عملية التحرك فالتئم اجتماع عدد من أهلها في بيت امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد[١٤]، وتم انتقاد سياسة معاوية في ذلك الاجتماع، ورفضت فيه ولاية يزيد، واستقرت كلمة الحاضرين على دعوة الحسين عليه السلام للقدوم عليهم فكتبوا إليه[١٥]: (من أجل قيادة الثورة التي قطعت شوطاً من النضج جاء في النتيجة محصلاً للمرحلة السرية وجهودها المكثفة كإطار وحيد للنضال السياسي في العهد السابق)[١٦].

وكان أول كتاب ورد للإمام الحسين عليه السلام في مكة لعشر ليال خلون من شهر رمضان[١٧]، ثم توالت الرسائل والكتب ووفود الكوفة والبصرة إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكة، فكتب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة كتاباً جاء فيه: (أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً صلّى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أُرسل به صلّى الله عليه وآله، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحقّ

المستحق علينا ممن تولاه)[١٨].

ولو نظرنا في نص الكتاب سنجد إشارة إلى ذلك الخلاف الذي حصل حول الخلافة بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بين بني هاشم وسواهم، وتواترت كتب التاريخ على اختلاف مذاهب أصحابها على نقله، وفي الكتاب قول بحق أهل البيت بخلافة النبي صلى الله عليه وآله ووصايته ووراثته، وهذا ما لم يتخلَّ عن التصريح به الإمام علي عليه السلام قبل خلافته وبعدها، وصرح به الحسن عليه السلام بعده، وذكر الحسين عليه السلام ترك بني هاشم للخلاف حباً للجماعة والائتلاف.

ولعل المتمعن في الحوادث التاريخية سيجد ان الإرادة الشعبية قد أبدت مطالبتها - ولو ظاهرياً - للإمام الحسين عليه السلام للقيام بالثورة على الحكومة القائمة، وقد ظهر ذلك جلياً من إجماع أهل الحجاز على تفضيل الحسين عليه السلام وخاصة بعد إعلانه عدم البيعة وقدومه إلى مكة[١٩]، ومن اجتماع أهل العراق - كوفة وبصرة - على مكاتبته ودعوته للقدوم، وقد حدد الإمام الحسين عليه السلام نظرته للحكم ورؤيته للسلطة، ومفهومه لإرادة الناس، وبيعة الجمهور من خلال رسالته التي بعثها إلى أهل الكوفة جواباً على كتبهم: (قد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم انه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق... فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله)[٢٠]. وهو يوضح أن الحسين عليه السلام يستجيب لإرادة عامة (مقالة جُلّكم) ويفضح بطلان بيعة الحاكم يزيد وعدم أهليته لولاية المسلمين ببيان بعض الشروط الموضوعية للإمام على الناس. وهو ما أكده الحسين عليه السلام في المدينة عندما طلب منه مروان بن الحكم مبايعة يزيد فقال له: (إنا لله وإنا إليه راجعون؛ وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد.. يا مروان! أترشدني لبيعة يزيدٍ، ويزيد رجل فاسق)[٢١].

ولذلك يعتقد الباحث بأن دوافع الثورة كانت قائمة، وان الحسين عليه السلام كان سيقوم بها حتى إذا لم تأته رسائل الكوفيين التي قد تكون عجلت بقيام الثورة لأنها تعبير عن إلقاء المسؤولية الشرعية على عاتق الحسين عليه السلام في الخروج على الحاكم الظالم. فضلاً عن أن السلطة الأموية لم تكن لتترك الحسين عليه السلام دون انتزاع البيعة منه أو قتله، وقد صرح الإمام بهذه الحقيقة في كلامه مع الذين حاولوا أن يثنوه عن مسيره أو الخروج من مكة فقال: (والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم..)[٢٢] وفي نص آخر: (وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم)[٢٣]..

وإذا كانت الثورة قد أصبحت القرار النهائي للإمام الحسين عليه السلام، والشخوص إلى العراق لتكون الموضع الذي ستنطلق منه الثورة، فقد حرص عليه السلام على تهيئة الموقف السياسي في العراق قبل الوصول إليه، إذ انه أمام إلحاح أهل العراق وتوالي كتبهم ورسلهم إليه في مكة كتب إليهم يقول: (... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ بأنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً

إن شاء الله)[٢٤]. ويتبين من هذا الكتاب أن الحسين عليه السلام قد أرسل من يتعرف على ما أجمع أهل الكوفة عليه، وأكد لهم أنه سوف يلبي مطالبهم بالقدوم إليهم إذا كتب إليه رسوله بما يشاهده منهم، وهذا غاية ما يستطيعه للاحتراز قبل الإقبال إلى العراق[٢٥] فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة[٢٦] وأرسل مولاه سليمان إلى البصرة[٢٧].

مبررات خروج الحسين عليه السلام إلى العراق

قرر الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة و(لو لم يعجل بالخروج لحيل بينه وبين ذلك، ولوقع أسيراً في أيدي أعدائه ولأحدق الخطر به من كل ناحية)[٢٨].

ولما أراد الحسين عليه السلام التوجه إلى العراق طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ إحرامه وجعلها عمرة لأنه لم يتمكن من تمام الحج[٢٩]، ثم قام خطيباً فقال: (...خط الموت على ولد آدم مخطّ القلادةِ على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه.

كأني بأوصالي تُقطّعها عُسلان[٣٠] الفلوات بين النواويس[٣١] وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سُغباً. لا محيص عن يوم خُط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أُجور الصابرين. لن تشِذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لُحمته[٣٢] وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحلٌ مصبحاً إن شاء الله تعالى)[٣٣].

ويتبين مما تقدم وضوح الخطاب الحسيني وحزمه، الذي يمكن أن نتلمس منه أموراً متعددة منها:

* تأكيد الحسين عليه السلام حتمية الموت المكتوب على بني آدم، ثم اختياره لأشرف درجاته وهي الشهادة: (وخير لي مصرع أنا لاقيه)، واستعداده لوحشية أعدائه في طريقة القتل ثم الإشارة إلى معرفته بمصيره وتصوير إقباله على التضحية بأنه قدر وتوجيه إلهي (لا محيص عن يوم خط بالقلم) وأن استجابته وطاعته لله هي تسليم العاشق لله الذي يجد في (رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين).

* تأكيد الحسين عليه السلام على منزلة أهل البيت عليهم السلام على أرفع مستوى وربط هدفه بهدف النبي صلى الله عليه وآله، وتوجيه الناس إلى بذل الأرواح في الاستجابة لدعوتهم (أهل البيت).

* الإشارة إلى صعوبة الطريق الذي يسلكه للجهاد والإصلاح والذي يقتضي توطين النفس على الصبر.

* وضع الناس أمام مسؤوليتهم التاريخية في الوقوف بوجه الظلم، فإما النكوص، أو الاستجابة، فإن كانت الأخيرة فالموضع موضع تضحية لابد من أن يوطن المسلم فيه نفسه على لقاء الله. ويستشف من ذلك أن الحسين عليه السلام قد أراد ومنذ بداية تحركه - ومع حاجته القصوى إلى التأييد - ألا يرتبط به، ولا يسير معه إلاّ المدرك لأهدافه، والواعي لمتطلبات المرحلة، والمستعد لأخطر التداعيات.

* إعلان الحسين عليه السلام لموعد مغادرته مكة - بعد أن أعلن وجهته - فلا يترك فرصة لمتعلل، ولا عذر لقائل بأن الحسين عليه السلام قد أخفى أمره. فقد ظل الإمام عليه السلام يستخدم

قاعدة الإشهار ليصل إلى أقصى حد من الانتشار الإعلامي والاجتماعي.

خرج الحسين عليه السلام من مكة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية[٣٤]، وهو اليوم نفسه الذي خرج فيه مسلم بن عقيل على ابن زياد في الكوفة ثم قتل في اليوم التالي[٣٥].

وقد جمع الحسين عليه السلام أصحابه الذين عزموا على الخروج معه ثم طاف بالبيت وبالصفا والمروة، حاملاً بناته وأخواته على المحامل[٣٦] وأخذ طريقه نحو الكوفة.

وعظم على السلطة الأموية مغادرة الحسين عليه السلام مكة لأن ذلك يعني انفلات حركته من طوق الحصار الذي سعت السلطة إلى فرضه في المدينة المنورة ففشلت ثم جهدت إلى ذلك في مكة للقضاء على الحركة وهي في مهدها من خلال القضاء على قائدها باغتياله بأي طريقة من الطرق في ظروف مفتعلة، لا تعجز السلطة عن إيجادها، وإلقاء التهمة في ذلك على غيرها، وتغطية ذلك الفعل بألف ادعاء تدعيه، وقد تطالب بعد ذلك بدمه لإظهار نفسها بمظهر الآخذ بثأره لإبعاد التهم والشبهات عنها[٣٧].

لقد فوت خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة بذلك

التوقيت المدروس الفرصة على السلطة للتخلص منه بالطريقة التي تراها، أو تطويق الثورة ومحاصرتها، وأن هناك إشارات واضحة من أحاديث الحسين عليه السلام نفسه بأنه كان يخاف الأخذ أو القتل داخل الحرم، وقد أكد ابن عباس وجود مثل تلك المحاولات في رسالة منه إلى يزيد بن معاوية كتبها موبخاً اياه على فعله مع الإمام عليه السلام: (وما أنسَ من الأشياء، فليست بناس اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة... ثم إنك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته، والإلحاح عليه، حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس)[٣٨].

وفي هذه الرسالة دلالة واضحة على أن يزيد كان قد دسّ الرجال لاغتيال الحسين عليه السلام وهو في مكة، ولم تمانع السلطة الأموية عبر ممثلها في الحجاز عمرو بن سعيد باستبقائه في مكة لحين تنفيذ الاغتيال عبر عرض الأمان والبر والصلة. فلما لم ينفع ذلك استخدمت السلطة الأسلوب القمعي بمحاولة ردّه هو وركبه إلاّ أن كلتا المحاولتين فشلتا لأن الإمام عليه السلام عرف بتلك المحاولات فخرج أولاً من مكة يوم التروية دون الانتظار لتأدية مناسك الحج، ولم يخضع لشرطة الوالي الأموي وأصر على الاستمرار في طريقه إلى الكوفة.

لقد وجد الإمام الحسين عليه السلام أن التوجه إلى العراق هو أفضل الخيارات المطروحة، وانسبها للقيام بثورته، لذلك صرّح لابن عباس الذي طلب منه الشخوص إلى اليمن بأنه: (لابدّ من العراق)[٣٩].

فقد ضعفت قدرات الحجاز البشرية والاقتصادية نتيجة التفريغ المستمر لطاقاته - عبر دعم جبهات القتال والهجرة إلى الأمصار - وافتقد الأهمية التجارية التي تمركزت في جزء أساسي منها في البصرة[٤٠] فضلاً عن أن أهل مكة وفيهم القرشيون ليسوا من أنصاره، وليس هواهم مع بني هاشم، وأهل المدينة وإن كانوا يجلونه، وفيهم الأنصار الذين جاهدوا في صفوف أبيه، فإن في المدينة عدداً كبيراً من قريش بعامة وبني أمية بخاصة، وليس في المدينة قوة تحزم أمرها خلفه، فضلاً عن أن عجز الحجاز[٤١] عن الدفاع عن نفسه قد ظهر من قبل ضد أية قوة تأتيه من الخارج[٤٢]. فالحسين عليه السلام لا يستطيع في ظل هذه الظروف الاعتصام في الحجاز أو الاعتماد عليه في دعم خروجه على السلطة. أما اليمن فلم تكن معقودة الولاء على أهل البيت حصراً ولا على موالاة أبناء علي، وإنما (كان الناس بها أحزاباً وشيعاً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأخرى ترى رأي علي)[٤٣] وفي ذلك دليل على انقسامها بين شيعة موالية للإمام علي عليه السلام وأبنائه، وأخرى موالية لبني أمية، فضلاً عن أن اليمن قد ظهر عجزها، وعجز شيعة علي فيها حين قدمت إليها قوات معاوية في خلافة الإمام علي عليه السلام، إذ لم يقاتلوا سوى قتالاً ضعيفاً، وتخاذلوا وقالوا: لا طاقة لنا بمن جاءنا[٤٤].

فالاتجاه إلى اليمن مع قلة وضعف الناصر أمر محفوف بالمخاطر ولاسيما أن يد السلطة قادرة على الوصول إليه متى شاءت وبقوة كبيرة.

وقد تحاشى الحسين عليه السلام البقاء في

مكة، وحرص على صيانة حرمة بيت الله الحرام من أن ينتهكها بنو أمية بقتله، وقد بقي فيها ما ينيف على الثلاثة أشهر، أقام فيها الحجة على الأمة الإسلامية، وأعلن استعداده للخروج على ظلم بني أمية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإصلاح، فلم تجبه إلى ذلك سوى فئة قليلة سارت معه حين لم يبقَ ثمة خيار سوى الاتجاه نحو العراق، وخاصة الكوفة لأن فيها (إرادة جماهيرية تطلب التغيير، وتستحث الإمام الحسين للمبادرة إلى قيام الحركة، وكان موقع هذه الإرادة في الكوفة، تمثلت في رسائل البيعة القادمة من أهلها)[٤٥].

وقد كان تعامل الحسين عليه السلام مع رسائل أهل الكوفة تعاملاً طبيعياً فلو قُرِأتْ خطابات الكوفيين والبصريين لوجد أنها تمثل حالة ثورية، لو لم يستثمرها الحسين عليه السلام لاتُهم بالقعود والهروب عن تحمل دوره التاريخي؛ فالعراق موطن من مواطن الشيعة ومهد للتشيع الذي وقف بوجه الحكم الأموي، وتمنى أهله زوال هذا الحكم فكاتبوا الحسن عليه السلام، ثم الحسين عليه السلام بعده، للوقوف بوجه مظالم بني أمية وذكر الحسين عليه السلام أثر ذلك في اتخاذه قرار التوجه إليهم بالقول: (والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي)[٤٦].

وفي محاورة جرت بينه وبين أحد الصحابة في الأبواء[٤٧] سأله فيها الصحابي عن وجهته قال الحسين (العراق وشيعتي)[٤٨].

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام يفكر آنياً، بل فكر وخطط لما بعد الاستشهاد، إذ لم تكن كتابات الكوفيين إليه السبب الوحيد للاتجاه نحو شيعته في الكوفة بل لأن العراق بوضعه العام آنذاك بات يشكل أنسب أرضية اجتماعية تتنامى فيه جماهير الثورة فيما بعد الشهادة بالرغم من أن المجتمع الكوفي قد نفذ إرادة السلطة الحاكمة في قتال وقتل الإمام عليه السلام نظراً إلى وجود شريحة واعية لقضية أهل البيت عليهم السلام مع قلتها إلاّ أنها تمثل النواة لتنامي هذا الخط مع مرور الأيام[٤٩].

فالحسين عليه السلام قد وجد من الحكمة أن يختار لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته، وفضح أعدائه ونشر أهدافه، فالحسين عليه السلام بمنطق الشهيد الفاتح كان يريد العراق، ويصر على التوجه إليه لأنه أفضل أرض للمصرع المختار لما ينطوي عليه من استعداد للتأثر بالحدث والتغيير نتيجة له، لأن شيعته كانوا في العراق أكثر من وجودهم في أي إقليم إسلامي آخر، ولأن العراق لم ينغلق إعلامياً ونفسياً لصالح الأمويين كما هو في الشام[٥٠].

فإذا أضفنا لذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قد ذكر موضع قتل الحسين عليه السلام بكربلاء[٥١] وتصريحات الحسين عليه السلام بأنه خرج منفذاً لقدر إلهي، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله له بذلك عبر رؤيا رآها[٥٢] نجد أن عوامل عديدة تضافرت في هذا الاختيار الذي لم يحبذه عدد من الصحابة الذين أوصوه بعدم الوثوق بأهل الكوفة[٥٣]، بحيث وصفت بعض المصادر الإمام الحسين عليه السلام بأنه اغترّ برسائل الكوفيين أهل الغدر والخيانة وخرج إليهم بغير تأني واستماع لنصائح الناصحين[٥٤]، ويرد على هذا الإشكال القديم الجديد - وحسب ما قدمه الباحث من قراءة لأهداف الثورة الحسينية -

بـأن اتهام الكوفيين بالخيانة، والتخلي عن الحسين عليه السلام بعد وصوله إليهم، كان سيبقى مجرد رأي بلا دليل حتى يتحقق في الواقع، بينما كانت رسائلهم التي تعلن البيعة والولاء هي واقع ملموس[٥٥]، أو بعبارة أخرى، الولاء أمر قائم، والخيانة أمر متوقع قد يحدث أو لا يحدث.

ولم يكن بوسع أبي عبد الله عليه السلام أن يقف موقف المتفرج الهارب بنفسه من ساحة الوغى أو الفار بدينه إلى ساحات الاعتزال والانعزال، وهي جميعها أشكال مختلفة من الهروب والتهرب من تحمل المسؤولية، وهو مسلك فضلاً عن ضرره البليغ على الواقع في تلك اللحظة فإنه يعطي مبرراً لكل من تعرض لهذه الظروف أو ما شابهها أن يهرب بنفسه حتى يستوفي الأجل المحتوم، ويبقى في وجدان الأمة رمزاً من رموز الكهنوت الهارب من مواجهة الشيطان في أرض الواقع واللائذ بالنصوص والتبريرات[٥٦].

وقد وضع الحسين عليه السلام نصب عينيه هدف التضحية والشهادة[٥٧] لإيقاظ الأمة من رقدتها المميتة، وتجديد روح الجهاد ومقاومة الفساد والانحراف، ولتبقى هذه الروح سارية المفعول في حياة الأمة بكل أجيالها وان هذا الهدف وذلك التصميم لديه لم تبعثه رسائل أهل الكوفة، وإنما الباعث هو الشعور بالمسؤولية أمام الله والإسلام والأمة، لأنه تكليف رباني اندفع الامام للقيام به وامتثاله[٥٨].

إن الحسين عليه السلام كان يعلم أنه لابد من فدية ضخمة، فدية تتوهج بالدم وكان هو الوحيد الذي يملك أن يتقدم كفدية تهز الضمير شبه الميت في قلب الأمة. إن الأمر هنا ليس حنكة سياسية وليس غفلة سياسية، ليس واقعية رومانتيكية، إنه أمر واضح تماماً يرتفع عن مستوى الغفلة أو الخيال، هو موقف أذكى واشرف رجل في عصره يُقدّم نفسه ليوغل فيه أعداء القيم العليا ما شاء لهم انحدارهم كآخر ما يستطيع أن يصل إليه بشر، فتكون الصرخة التي توقظ ضميراً خرّبوه بكل الوسائل[٥٩].

وحينما تبرز أخلاقية الهزيمة وتترسخ وتتعمق تتحول كل محاولة جدية لمقابلة الظلم والظالمين إلى نوع من السفك والقتل في نظر المثبطين والمجمدين، هذه الأخلاقية التي يريد الإمام الحسين عليه السلام أن يحولها إلى أخلاقية

التضحية والإرادة، إلى الأخلاقية الإسلامية الصحيحة التي تمكن الإنسان المسلم من أن يقف موقفه الايجابي والسلبي على وفق ما تقرره الشريعة الإسلامية إيجاباً وسلباً، وفي عملية التحويل هذه كان الإمام الحسين يواجه أدق مراحل عمله[٦٠]، وكان يحاول أن يخلق ردود الفعل المناسبة لكي يتحرك، وكان من الأساليب التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام أنه حشد كل القوى والإمكانيات، فلم يكتفِ بأن يعرّض نفسه للقتل عسى أن تقول أخلاقية الهزيمة: (إنه شخص حاول أن يطلب سلطاناً فقُتل)، بل أراد أن يعرّض أولاده وأهله للقتل، ونساءه للسبي[٦١]، أراد أن يجمع على نفسه كل ما يمكن أن يجتمع على إنسان من مصائب وتضحيات وآلام لأن أخلاقية الهزيمة مهما شككت في مشروعية أن يخرج إنسان للقتل فهي لا تشكك في أن هذا العمل الفظيع الذي قامت به جيوش بني أمية،.. ضد بقية النبوة لم يكن عملاً صحيحاً على كل المقاييس، وبكل الاعتبارات، كان لابد للإمام الحسين عليه السلام من أن يُدخل في المعركة دمه وأولاده وأطفاله ونساءه وحريمه وكل الاعتبارات العاطفية... لكي يسد على أخلاقية الهزيمة كل منفذ، وكل طريق إلى التعبير عن هزيمتها وعن نوع من أنواع الاحتجاج على هذا العمل لكي يهز بذلك ضمير ذلك الإنسان المسلم المهزوز الذي تميعت إرادته[٦٢].

ويضاف لذلك أن الحسين عليه السلام قد يكون رأى في وجود العائلة معه إكمالاً لما سيبدأ هو من ثورة إذ سيقع على عاتقها جزء لا يستهان به من ديمومة الثورة، فقد كان يمكن للسلطة الأموية ان تشيع براءتها من قتل الإمام الحسين عليه السلام إلاّ أن اصطحابه لعائلته معه ومقتله، وسبي العائلة بالصورة التي نقلها المؤرخون لم تدع أي مجال للسلطة الأموية للتبرؤ من قتله. ولاسيما أن السبايا قاموا بعمل دعائي ضاهى أجهزة الدعاية الأموية، بل تفوق عليها في شرح وقائع المأساة في الأمكنة التي حلّ فيها الأسرى مبطلين زيف الدعاية الأموية في أن هذا السبي من الخوارج على السلطة الأموية، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار علم الإمام الحسين عليه السلام بالمصير الذي سيؤول إليه لتبين لنا صواب الإجراء الذي اتخذه الإمام الحسين عليه السلام باصطحابه النساء والأطفال معه في سيره إلى كربلاء.

ولا شك في أن الإمام الحسين عليه السلام قد خاف أن ينكل بنسائه[٦٣] وأطفاله أو يتم إيذاءهم وأسرهم للضغط عليه في حال قيامه بالثورة[٦٤]، (ولم يخطئ الحسين حين أبى أن يترك أهل بيته بالحجاز، فلم يكن يأمن أن يأخذهم يزيد بمسيره هو إلى العراق)[٦٥] ويجبره بذلك على الاستسلام[٦٦] ■

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ٢١/٥، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٧٢/١، شريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص٢٨٩.

(٢) ينظر بتفاوت في الألفاظ: ابن أعثم، الفتوح، ٢١/٥، ابن أعثم، مقتل الحسين، ص٣٢، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٧٣/١، القزويني، الوثائق الرسمية، ص٤٦، شريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٩٠ - ٢٩١.

(٣) الطبري، تاريخ، ١٨٢/٦، ابن أعثم، الفتوح، ٢٢/٥، ابن أعثم، مقتل الحسين، ص٣٢ - ٣٣، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٦/٤، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٧٣/١، شريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٩٩.

(٤) ينظر: جعفر، صادق، المشروع الاستراتيجي للنبي وأوصيائه عليهم السلام، ط بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٤٨.
(٥) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص١٥٤.
(٦) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ٢٣٧/٢، غنيم، الثورات العلوية، ص١٥١، الحوفي، أدب السياسة، ص٤٠.
(٧) الطبري، تاريخ، ١٧٦/٦.
(٨) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص٤٢٧.
(٩) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٦٧، البلاذري، انساب الاشراف، ٣٧٥/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٣/٨.
(١٠) جعفر، المشروع الاستراتيجي، ص٢٥٠.
(١١) منهم: عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عمر بن عبد الرحمن المخزومي، وزارة بن صالح، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٧٣/٣، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٣، الطبري، استشهاد الحسين، ص٧٤.
(١٢) النفيس، على خطى الحسين، ص٩٣.
(١٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٥، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٩، الطبري، تاريخ، ١٨٢/٦، ابن أعثم، الفتوح، ٢٧/٥، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٨٢/١.
(١٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٧ - ١٨، الطبري، تاريخ، ١٨٣/٦، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٦/٣.
(١٥) ينظر فيما كتبه أهل الكوفة والبصرة إليه(ع): أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٥- ١٧، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٩، الطبري، تاريخ، ١٨٢/٦ - ١٨٣، ابن أعثم، الفتوح، ٢٧/٥ - ٢٩، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٨٢/١ - ٢٨٣.
(١٦) بيضون، من دولة عمر، ص١٨٥.
(١٧) البلاذري، انساب الأشراف، ٣٧٠/٣.
(١٨) الطبري، تاريخ، ١٨٥/٦ - ١٨٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٨/٨.
(١٩) الطبري، تاريخ، ١٨٢/٦.
(٢٠) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٧، الطبري، تاريخ، ١٨٣/٦، ابن أعثم، الفتوح، ٣٠/٥ - ٣١، ابن اعثم، مقتل الحسين، ص٤٢، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٨٤/١، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٥/٣ - ٣٨٦.
(٢١) ينظر بتفاوت في الألفاظ: ابن أعثم، الفتوح، ١٧/٥، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢٦٨/١، ابن طاووس، اللهوف، ص١٧.
(٢٢) ابن الأثير، الكامل، ٤٠١/٣.
(٢٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٦٧، الطبري، تاريخ، ٢٠٣/٦، ابن أعثم، الفتوح، ٦٧/٥، ابن اعثم، مقتل الحسين، ص٨٣، الخوارزمي، مقتل الحسين، ص٣١٢، ابن الأثير، الكامل، ٤٠٠/٣.
(٢٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٧، الطبري، استشهاد الحسين، ص٤٥، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٦/٣.
(٢٥) لاسيما وان الكوفيين كتبوا إليه: (ولو قد بلغنا انك قد أقبلت إلينا، أخرجناه [أي الوالي] حتى نلحقه بالشام). الطبري، تاريخ، ١٨٣/٦.
(٢٦) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٩، ابن خياط، تاريخ، ص١٤٣، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٨٢/٢، البلاذري، انساب الأشراف، ٣٧٠/٣، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٠، اليعقوبي، تاريخ، ١٦٩/٢، الطبري، تاريخ، ١٨٤/٦، ابن أعثم، الفتوح، ٣١/٥، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٧/٤، ابن الأثير، الكامل، ٣٨٦/٣.
(٢٧) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٢٤، ، الطبري، استشهاد الحسين، ص٤٨، ابن طاووس، اللهوف، ص٢٥.
(٢٨) عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين عليه السلام، ص٨٣.
(٢٩) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص٣١٨.
(٣٠) جمع عسل وهو الذئب والثعلب. ابن منظور، لسان العرب، مادة عسل.
(٣١) النّاووسة: من قرى هيت. ياقوت، معجم البلدان، ٢٥٤/٥.
(٣٢) اللُحمة: الشابك من النسب. ابن منظور، لسان العرب، مادة لحم.
(٣٣) ابن طاووس، اللهوف، ص٣٩.

(٣٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٦١، البلاذري، انساب الأشراف،٣٧١/٣، الطبري، تاريخ،٢٠١/٦، ابن اعثم، الفتوح، ٦٩/٥، المسعودي، مروج الذهب،٢٥٦/٣، الشيخ المفيد، الارشاد، ص٣١٨، النويري، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٦/٨.

(٣٥) البلاذري، انساب الاشراف، ٣٧١/٣، الطبري، استشهاد الحسين، ص٧١.

(٣٦) ابن اعثم، الفتوح، ٦٩/٥، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٣١٧/١.

(٣٧) الطبسي، محمد جواد، وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء، ط قم، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٨/٣.

(٣٨) اليعقوبي، تاريخ، ١٧٣/٢ - ١٧٤. وينظر: عويس، شهيد كربلاء، ص١٤٧ - ١٤٨.

(٣٩) الخوارزمي، مقتل الحسين، ٣١٠/١.

(٤٠) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص٢٥٥.

(٤١) كدليل على ذلك من مقتل عثمان بأيدي عدد قليل من ثوار الأمصار الإسلامية، دون أن تكون في يده قوة عسكرية كافية لردهم. ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٣٥/١ - ٣٦، البلاذري، انساب الأشراف، ١٧٤/٦.

(٤٢) الشريف، دور الحجاز، ص٤٢١.

(٤٣) الثقفي، الغارات، ٤٣٣/٢.

(٤٤) الثقفي، الغارات، ٤٢٥/٢، الشريف، دور الحجاز، ص٤٢١.

(٤٥) النفيس، على خطى الحسين، ص٩٤.

(٤٦) الطبري، تاريخ، ٢٠٢/٦.

(٤٧) قرية من أعمال المدينة المنورة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، ياقوت، معجم البلدان، ٧٩/١.

(٤٨) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص٢٠١.

(٤٩) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص١٦٩.

(٥٠) الطبسي، وقائع الطريق، ص١٩ - ٢٠.

(٥١) ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ص٣٦٤ - ٣٦٥.

(٥٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٦٩، ابن الأثير، الكامل، ٤٠٢/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٣/٨.

(٥٣) جاء ذلك على لسان عبد الله بن عباس، والمسور بن مخرمة، وبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن جعفر، وعبد اللن بن مطيع وغيرهم. ينظر: الطبري، تاريخ، ٢٠٢/٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٢/٨ - ١٦٣.

(٥٤) ينظر: السيد، سيرة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله ص٣٢٥، الجبري، حوار مع الشيعة، ص٢٤٨، شاه، العقائد الشيعية، ص٧٢ .

(٥٥) ينظر: جعفر، المشروع الاستراتيجي، ص٢٥٣.

(٥٦) النفيس، على خطى الحسين، ص٩٤.

(٥٧) لم يكف الحسين عليه السلام عن التصريح بأنه مقتول لا محالة عند وصوله إلى العراق وقد استقرأ مصيره عدد من الصحابة أيضاً كابن عباس وعبد الله بن عمر، ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، ٢٧٥/٣، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٣١١/١.

(٥٨) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص١٦٩.

(٥٩) صالح، اليمين واليسار، ص١٦٢.

(٦٠) الصدر، الحسين يكتب، ص٨٦ - ٨٧.

(٦١) رد الحسين عليه السلام على مَن ساءل عن حمله للنساء معه بالقول: (ان الله قد شاء ان يراهُنّ سبايا). ابن طاووس، اللهوف، ص٤١.

(٦٢) الصدر، الحسين يكتب، ص١٠٩ - ١١٠.

(٦٣) ينظر على سبيل المثال ما فعله الامويون مع زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي المتهم بالتشيع للإمام علي عليه السلام عندما سجنوها حتى قبضوا على زوجها. ابن الاثير، اسد الغابة، ١٠١/٤.

(٦٤) ذكر ابن طاووس: انه لو تركهن عليهن السلام بالحجاز أو غيرها من البلاد، كان يزيد... قد ينفذ ليأخذهن إليه ويصنع بهن من الاستئصال وسوء الأعمال ما يمنع الحسين عليه السلام من الجهاد والشهادة ويمتنع عليهن السلام - بأخذ يزيد بن معاوية لهن - عن مقامات السعادة. اللهوف، ص٥٣.

(٦٥) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ٢٣٩/٢.

(٦٦) الشريف، دور الحجاز، ص٤٢٢.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حج ثلاث حجج مع رسول الله صلى الله عليه وآله».

كامل الزيارات ص:٢٦٧

قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام:

«أدنى ما يثاب به زائر الحسين عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمته وولايته ان يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

كامل الزيارات ص:٢٦٣

الهجمات المتتالية على كربلاء

د. سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

أحدث مصرع الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أكبر تصدع في صدر الإسلام، فذرفت عليه العيون دماً بدل الدموع، وكانت إقامة الشعائر الحسينية خطراً يهز أركان البغي، وناراً تحرق الظالمين المستبدين، ولذلك فإن الحكومات الظالمة لم تجد وسيلة للانتقام سوى تهديم قبر الحسين عليه السلام وقتل الناس الأبرياء الذين يزورونه ومنع الشعائر المقدسة التي يمارسونها لإحياء ذكرى عاشوراء والمناسبات الدينية الأخرى.

فقد تعرضت مدينة كربلاء منذ واقعة الطف للأطماع السياسية والإبادة والتدمير والتنكيل والتشريد على مر التاريخ، وعانت الآلام والمحن، وقدمت عوائلها قوافل من الشهداء على مر التاريخ، وقد ظلت المدينة تردد صرخات الاحتجاج على تلك المظالم في كل عصر لردع طغاة الأجيال من ارتكاب جريمة مثل جريمة يزيد وأمثاله من المجرمين حتى يومنا

هذا، وهي لا تزال ترفع صوتها في مضمار التحدي والسير قدماً نحو عالم يضع الحق نصب عينيه ولا يدع للباطل صولة.

هدم الحائر على عهد المنصور

يعتبر أبو جعفر الدوانيقي الملقب بالمنصور أول المعتدين على الحائر والقبر المطهر في العهد العباسي، وذلك حين اعتلى عرش الخلافة العباسية، فهو لم يكتف بإبادة آل الحسن المثنى بالقتل فحسب، بل تجاوز في اعتداءاته على القبر الحسيني المطهر، وقد أصبح عمله سنة لمن جاء من بعده، فتبعه في ذلك الرشيد والمتوكل[1]. ولا يخفى على القارئ ما لعب أبو جعفر من دور واضح في التنكيل بأهل بيت النبوة وجرعهم آلام السجن والتعذيب، والتاريخ شاهد على ذلك.

الحائر وهدمه على عهد هارون الرشيد

يروى عن يحيى بن المغيرة أنه عندما كان جرير بن عبد الحميد في دمشق جاءه رجل من أهل العراق فسأله عن خير الناس في العراق فأفاد أنه ترك الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام وأمر بقطع السدرة فقطعت، فرفع يده قائلاً: (الله أكبر جاءنا حديث الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: لعن الله قاطع السدرة)[2]. وقد دعاه البغض إلى هدم كربلاء من أساسها فأمر بهدم القبة السامية والدور المجاورة واقتلاع السدرة وحرث الأرض[3].

وذكر العلامة السيد محسن الأمين العاملي بسنده عن محمد بن أبي طالب صاحب كتاب زينة المجالس أنّ أمر الحديث السابق كان مخيفاً عند الصحابة

ولم يفهم معناه حتى كان أمر الرشيد وقطعه السدرة لأن القصد من الحديث بقطعه السدرة هو تغيير معالم قبر الحسين عليه السلام حتى لا يقف الناس أثناء الزيارة[٤].

وللشاعر الشيخ محمد السماوي أبيات من ارجوزته في هذا الصدد قوله:

والحادث الثاني الذي أتى به
هارون في المخر على أترابه
وحرث قبره وقطع السدرة
وقتله لمن يزور قبره[٥]

وشجرة السدرة هي الدليل الذي يستدل بها الزوار لمعرفة موضع القبر.

المتوكل وحرثه قبر الحسين عليه السلام

استنكر مأساة أبي عبد الله الحسين عليه السلام العالم الإسلامي بأسره، واحتج الناس على فضاعة الجرائم البشعة التي ارتكبها الأمويون والعباسيون على أقدس بقعة

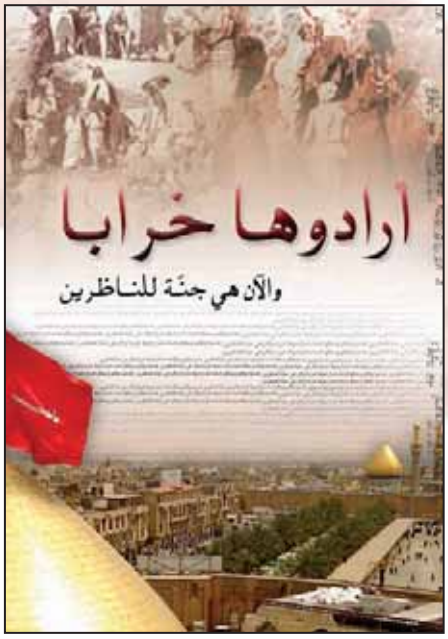

يقدسها المسلمون في مشارق ومغاربها، وتناولت أقلام المؤرخين ما قام به المجرمون من تنكيل المسلمين بالحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه بسبب الحقد الدفين والكراهية والسخط وبخاصة المتوكل الذي حرث قبره وأسال الماء عليه. فهذا ابن خلكان وغيره يحدثنا أن جعفر المتوكل العباسي كان كثير التحامل على علي وذريته عليهم السلام، فقد ضيق الخناق على الشيعة وطاردهم في الآفاق مطاردة عنيفة.

جاء في كتاب (وفيات الأعيان): وقد أقام المتوكل المسالح طيلة فترة حكمه على أطراف كربلاء يترصدون لكل من يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام ويهتدي إلى موضع قبره الشريف فيطاردونهم ويعاقبونهم بأشد العقوبات ومنها القتل والصلب والتمثيل، وقد وضع المتوكل يده على أوقاف الحائر وصادر أموال خزينة الحسين عليه السلام ووزعها على جنوده قائلاً أن القبر ليس بحاجة إلى الأموال والخزائن[٦].

وذكر أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين): أن السبب في كرب قبر الحسين أن بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها إلى المتوكل قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما تولاها ـ أي الخلافة ـ بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام وبلغها خبره فأسرعت الرجوع، وبعثت إليه جارية من جواريها كان المتوكل يألفها، فقال لها أين كنتم، قالت خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان، فقال إلى أين حججتم في شعبان قالت إلى قبر الحسين عليه السلام فاستثار غضباً وأتى بمولاتها فحبسها واستعفى أملاكها وبعث الديزج إلى قبر الحسين عليه السلام وأمر بكرب قبره

ومحوه وتخريب كل ما حوله فمضى لذلك وخـرب ما حولـه وهدم البنـاء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد فأحضر قوماً من اليهود فكربوه وأجرى حوله الماء ووكل به مسالح بين كل مسـلحتين ميل ولا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه[٧].

وقد أصبحت الشيعة على عهد المتوكل في كرب عظيم، ولم تنل شيئاً من الحرية إلا علـى عهد ابنه المنتصر الذي اشـترك مع الأتراك في شوال ٢٤٧هـ في قتل أبيه المتوكل كما وصفه المؤرخون، ولم يقدم الولـد على قتل أبيه إلا غيرة وتعصباً لأهل البيـت الطاهر، لأن المتـوكل كما يحدثنا ابـن خلـكان كان كثيـر العداء لهـم. قال السماوي:

والحادث الثالـث فعل جعفر
بالهـدم والحرث لتلك الأقبر
والمخربالماءعلىماقدحرث
وقتلـه المجاوريـن للحـدث
وقد سمعت من حديث الديزج
وغيـره كل مريـع مزعـج[٨]

غارة ضبة الأسدي

ضبـة الأسـدي وهـو من مدينـة عين التمـر، كان قطاعاً للطرق لصاً شرسـاً، طمع بالاسـتيلاء على كربلاء، فسولت له نفسـه أن يغير عليها ليسـلب مالها وأهلها فأغـار عليهـا في مسـتهل عـام ٣٢٢هـ، ونهبها وحمل أهلها أسـارى إلى قلعة عين التمـر فملكها زهاء ٣٢ سـنة[٩]. وقد هجاه أبو الطيـب المتنبي بقصيدتـه المعروفة ومطلعها:

ما أنصف القوم ضبة
وأمـــه الـطـرطـبّـة

ولمـا بلغ ضبة مقالة أبـي الطيب أقام له في الطريق رجالاً من بني أسـد فقتلوه وقتلوا ولده وأخذوا ما معه وكان ذلك سنة ٣٥٤هـ[١٠].

وجـاء في (تجارب الأمـم): وفي هذه السنة نفذ عسكر إلى عين التمر في طلب ضبة بن محمد الأسـدي وأنه ممن يسـلك سبيل الدعار ويسفك الدماء ويخيف السبل وينهـب القرى ويبيح الأمـوال والفروج، وانتهك حرمة المشـهد بالحائر فلما أظل عليه العسكر المجرد هرب بحشاشته إلى البادية وأسـلم أهله وحرمه فجعل أكثرهم في الأسر وملكت عين التمر[١١].

وقد تحدثت المصادر عن هذه الحادثة في أكثر من موضع، لأنها وجدت الصدى الأكبر في تاريخ المدينة.

قال السماوي:

والحادث الرابع نهب الأسدي
ضبـة ذو العيـن لأهـل البلد
وسـلبه فـي الدور والأسـواق
وقتلـه كل فتـىً يلاقـي
ونهبـه مـن روضة الحسـين
مصوغـة النضـار واللجيـن
وعـوده للعين مـن غير بصر
فيقومهالمبتهجينبالظفر[١٢]

غارة خفاجة على كربلاء

ومن الحـوادث المؤلمة التـي أثارت سـخط المسـلمين أن غارت قبيلة خفاجة علـى كربـلاء واسـتباحتها. قـال أرباب السـير: غارت خفاجة على كربلاء فسلبوا أهلها ووضعوا السـيف في رقابهم وعاثوا فيهـا فسـاداً، فبلـغ الخبر سـيف الدولة فجهز جيشـاً عرمرماً قاده بنفسه وحاصر خفاجـة داخـل الروضة الحسـينية وغلق

عليهم أبواب الروضة وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاتلهم عند الضريح المقدس، فلم يسلم من خفاجة إلا شخص واحد ألقى بنفسه وفرسه من أعلى سور الحائر فنجا بنفسه... الخ[١٣]. وهو الذي تولى إمارة الحلة سنة ٤٧٩هـ وقتل سنة ٥٠١هـ

قال السماوي:

والحادث الخامس ما أهاجه
بنهب كربلا بنو خفاجة
وذاك أنهم أتوا من غزو
واستطرق الطف بفرط زهو
فنهبوا سكانه وفتكوا
واخفروا ذمامه وانتهكوا[١٤]

الحائر وتطاول المسترشد عليه

سار المسترشد بالله بن المستظهر بالله على نفس النهج الذي سار عليه الخلفاء السابقون تجاه الحائر الشريف في الربع الأول من القرن السادس الهجري. وقد كان المسترشد في هذا الوقت يستعد لتجهيز الجيوش وجمع العساكر لأنه كان قد اشتبك في أواخر عهده بحروب داخلية أثرت عليه مدة يسيرة بعد وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ فكان بحاجة شديدة إلى المال، فتطاول على الحائر المقدس وصادر أمواله[١٥].

ومما رواه المجلسي في البحار قال: أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء وقال: إن القبر لا يحتاج إلى خزانة وأنفق على العسكر فلما خرج قتل هو وابنه الراشد[١٦].

قال السماوي:

والحادث السادس للمسترشد
إذ فعل الفعل الذي لم يعهد
مد إلى خزانة الحسين كف
وباع ما قد كان فيها من تحف
فقيل لم تمد للخزانة
كفاً بلا رهن ولا ضمانة
قال ما الحسين بالمحتاج
لكل إكليل وكل تاج[١٧]

الحائر ونهبه على يد المشعشعين

مرت فترة من الزمن لم يمس الحائر بسوء ولم يتعرض الحرم الحسيني للانتهاك والاعتداء من قبل السلطات الحاكمة إلى أن ظهر في أوائل سنة ٨٤٤هـ دولة المشعشعين بقيادة فلاح بن محمد المشعشعي فأغار ذووه على الحائر الشريف.

جاء في كتاب (مجالس المؤمنين) ما هذا نصه: وقد استولى علي بن محمد بن فلاح على أزمّة الأمور في حياة أبيه وترأس القوم بنفسه ودعاهم إلى مقالته بأنه قد حلّت فيه روح أمير المؤمنين[١٨]، وأن علياً حي، فأغار بجيشه على العراق ونهب المشاهد المشرفة وأساء الأدب إلى الأعتاب المقدسة[١٩].

توجه مولى علي إلى كربلاء فدخل الروضة الحسينية بفرسه وأمر بكسر الصندوق الموضوع على قبر الحسين عليه السلام وجعل الروضة المطهرة مطبخاً لطهي طعام جنوده وأعمل في أهلها السيف ونهب أموالها. كما سلب كل ما كان في الروضة المطهرة من التحف الثمينة النادرة وأسر الكثير من سكان كربلاء إلى دار ملكه في البصرة[٢٠].

قال السماوي:

والحادث الثامن ما قد صنعا
علي أعني الفاتك المشعشعا
ابن فلاح إذ أتى بالمين
لمرقدي حيدر والحسين

وقال إن القبر للحي حلل
ونهب الأعيان في تلك الملل[٢١]

الغزو الوهابي للحائر الحسيني

تعرض الحائر للغزو الوهابي سنة ١٢١٦هـ، وأغار الوهابيون على كربلاء وفتكوا بأهل هذا البلد فتكاً ذريعاً، فقد ذكر لونكريك في كتابه (أربعة قرون من تاريخ العرق) قائلاً: انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلاء عشية اليوم الثاني من نيسان ١٨٠١م عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بالزيارة فسارع من بقي في المدينة لإغلاق الأبواب، غير أن الوهابيين وقد قدروا بستمائة هجان وأربعمائة فارس نزلوا فنصبوا خيامهم وقسموا قوتهم إلى ثلاثة أقسام، ومن ظل أحد الخانات ـ من ناحية محلة باب المخيم ـ هاجموا أقرب باب من أبواب البلد فتمكنوا من فتحه عسفاً ودخلوا فدهش السكان وأصبحوا يفرون على غير هدى بل كيفما شاء خوفهم. أما الوهابيون الخشّن فقد شقوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة وأخذوا يخربونها، فاقتلعت القضب المعدنية والسياج ثم المرايا الجسيمة ونهب النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات والأمراء وملوك الفرس)[٢٢].

وقال في موضع آخر (وقتل زيادة على هذه الأفاعيل خمسين شخصاً بالقرب من الضريح وخمسمائة أيضاً خارج الضريح في الصحن. أما البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه كما سرقوا كل دار ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل ولم يحترموا النساء ولا الرجال فلم يسلم الكل من وحشيتهم ولا من أسرهم، وقد قدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة وقدر الآخرون خمسة أضعاف ذلك)[٢٣].

وذكر لنا الدكتور عبد الجواد الكليدار في كتابه (تاريخ كربلاء وحائر الحسين) قائلاً: إن أعظم فاجعة من بعد وقعة الطف مرت على كربلاء في التاريخ هي غزوة الوهابيين عام ١٢١٦ من الهجرة، تلك الفاجعة التي لا يزال صداها يرن في البلاد الإسلامية والأوربية معاً، فأسهب في فضاعتها المؤرخون من مسلمين وغير مسلمين[٢٤].

وقد قتل في هذه الحادثة الكثير من أعلام المدينة، ولم تسلم أسرة من الأسر من قتلهم وتشريدهم، ومن بين الأعلام الذين قتلوا فيها العلامة الشيخ عبد الصمد الهمداني الحائري، والسيد موسى بن محمد علي آل سيد يوسف سادن الروضة الحسينية الذي عرف عقبه بآل الوهاب نسبة لتلك الحادثة التي استشهد فيها رجالهم، وغيرهم من الأعلام.

محاصرة كربلاء في واقعة المناخور

رفعت كربلاء راية العصيان ضد الوالي داوود باشا، فجهز الأخير جيشاً وأخضع الحلة واستباح حماها وتوجه إلى كربلاء وحاصرها ثمانية أشهر، ولم يقدر على افتتاحها، وكر عليها ثانية وثالثة فلم يستطع فتحها إلا بعد حصار طالت مدته قرابة أربع سنوات من ١٢٤١هـ ـ ١٢٤٤هـ.

قال الشيخ حمود الساعدي: في سنة ١٢٤٤ هجرية حوصر أهل بلد الحسين، حاصرهم سليمان بعسكره وقطع نخيلهم، وأغار مياههم تسعة أشهر، وقتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين حتّى آل أمرهم

إلى أن أكلوا حبّ القطب، ولم يسلموا.

وكانوا يخرجون إلى العسكر فيقاتلون إلى أن ضايقهم (صفوق) شيخ شمر، وتوجهوا عليه بعدما أعطى الأمان والقرآن لنقيب الأشراف، فخرج هو وأصحابه الـ ٢٥ فأمروا بقتلهم عن آخرهم دفعة[٢٥].

وجاء في كتاب (تاريخ العراق الحديث) ما نحن بصدده: ولقد حاصرت قوات داود باشا كربلاء في السنوات الأخيرة من حكمه زهاء أحد عشر شهراً دون أن ينال من وراء ذلك سوى وعد بدفع الضرائب السنوية المربوطة عليها.

وكذلك أراد علي باشا أن يؤكّد سيادته على كربلاء، ولجأ إلى الحيلة دون القوّة، وتظاهر بأنّه يودّ أن يؤدّي الزيارة لقبر الحسين عليه السلام ولكن أهل المدينة رفضوا أن يسمحوا له بذلك.

وفضّل علي رضا أن يكتفي بإسناد حكم المدينة إلى سيد وهّاب، وهو من إحدى الأسرات الكبيرة في المدينة التي ظلّت مدّة حكم علي رضا في العراق شبه مستقلة، ولكن تحت سيطرة جماعة مسلّحة أطلق عليها اسم يارمز.

وكانت هذه الجماعة تحتوي على عدد من الخارجين على القانون واللصوص والفارّين من وجه باشوات العراق، وكانت إحدى فرق هذه الجماعة تدعى (الغارتية) من (غارة) تفرض الأتاوات على الحجاج، وكان أشهر زعيم لهم في ١٢٤٨هـ هو السيد إبراهيم الزعفراني، وهو من أصل مختلط إيراني عربي، وكان يليه في النفوذ إيرانيان لهما عدد كبير من الأتباع الفرس.

ونظراً لانقسام (اليارمز) إلى فرق كان ينشب فيما بينها صراع دموي شديد، كان يعاني منه شعب كربلاء المسالم أشدّ أنواع الخسائر المادية والإرهاق العصبي.

وفي خضمّ هذه الفوضى تفوّق زعماء اليارمز على هيبة كبار علماء الشيعة في المدينة، وكان لهم النفوذ الأكبر من قبل، ولكن وجد العلماء في انقسام اليارمز إلى طوائف فرصة لكسب أعوان لهم من بينهم، فكان أن انشطر اليارمز إلى شطرين، أحدهما مع الزعيم الديني الشهير كاظم الرشتي، والآخر مع زعيم ديني آخر يُدعى سيد إبراهيم القزويني[٢٦].

استباحة كربلاء من قبل نجيب باشا

كان أهل كربلاء يأبون الخضوع لحكم نجيب باشا، وأراد أن يخضع سكان المدينة لمشيئته، فنشبت الثورة التي عرفت بـ(غدير دم) يوم الثلاثاء في السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٥٨هـ ضد الطاغية الوالي المشير محمد نجيب باشا الذي أنذرهم بوجوب الخضوع فلم يخضعوا للأمر.

قال الشيخ الأميني في (شهداء الفضيلة): اتفق في أواخر سنة ١٢٥٨هـ بقتل فضيع كاد أن يبلغ قتلاه عشرة آلاف من الرجال والولدان غير النهب والغارة الشديدتين، وكان هذا القتل بيد نجيب باشا الذي ولي على بغداد وأمر بالشيء السيئ والسلوك بالشر مع أهل ذلك المشهد المقدس، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا، وقد قتل في هذه الكرّة أيضاً جمع كثير من العلماء والسادات وغير أولي التقصير من المجاورين والزوار، وحكي عمن شهد الواقعة من الثقات أنه لما أقفل العسكر أحصينا القتل وسألنا الحفارين وتحققنا من ذلك فكان ما يزيد على عشرين ألفاً

من رجل وامـرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الأربعة والخمسـة إلى العشرة فيهال عليهم التراب بلا غسل ولا كفن، وتفقدنا القتلـى منهم كثيراً والدور والآبار ووجدنا بالسـرداب الذي تحـت رواق العباس من القتلى أكثر من ثلاثمائة[٢٧].

يقـول كاشـف الغطـاء: كانـت مدينة كربلاء المقدسـة قد تعرضـت إلى أعنف كارثـة دموية راح ضحيتهـا ليلة عرفة من شـهر ذي الحجة سـنة ١٢٥٨هـ الموافق للعاشر من كانون الثاني يناير سنة ١٨٤٢م نحو ثلاثين ألف مسـلم كان يسكن المدينة يومهـا اثر غـزو نجيـب باشـا العثماني (ت١٨٥٠هـ) للمدينة، وهـي الغزوة التي عرفت بـ(غدير دم)[٢٨].

وجاء في موسـوعة العتبات المقدسة ـ قسـم كربلاء ـ ما نصه: إن نجيب باشـا نفسه انتهك حرمة المكان المقدس فدخل إليـه وهو يمتطـي صهوة جـواده، وتقدر الروايات المعتدلة إن عدد القتلى بلغ أربعة آلاف نسـمة من الأهالي، وخمسمائة من الجيش المهاجم، وعلى أثر ذلك قبض على السـيد إبراهيم الزعفراني رئيس العصاة وجيء به مكبلاً إلى بغداد فقضى نحبه فيها بعـد قليل، ثم طورد السـيد عبد الوهاب آل طعمة سـادن الروضتين حتى عفي عنه بشـفاعة نقيب بغداد السيد علي الكيلاني فسـلم نفسـه، وقبض كذلك على أشراف كربـلاء الآخريـن بتهمـة التحريض على هذه الحركة والمقاومة مثل السـيد صالح الداماد وعلي كشمش وطعمة العيد وبعض السادة من آل نصر الله والنقيب[٢٩].

لقـد هـزت هـذه الحادثـة الأرض الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، ودوت صرختها الهائلة في الأقطار ضد الاستبداد العثماني وقد ناضـل الكربلائيون دافعين أثماناً باهضة من دماء أبنائهم الأشاوس.

وهنـاك مصادر أخرى تؤيـد ارتكاب فضائع العثمانيين وانتقامهم الموجع وقتل المئات من اللائذين بضريح العباس عليه السلام.

الانتفاضة الشعبانية

إثر الممارسـات العدوانيـة الصدامية المتتاليـة علـى مدينة كربـلاء، انتفضت المدينة سنة ١٩٩١م/١٤١١هـ بشبابها وكهولها طيلة خمسة عشر يوماً، وضحوا بأنفسهم وأنزلـوا الخسـائر الفادحة فـي صفوف أنصار النظام السـابق وزعزعـة كيانهم،

بينما شحذت عزائم الثوار وأوقدت نيران الحماس في صدور المقاتلين، على أن هناك خطة مدروسة ومقصودة للنيل من هذا الشعب الأبي والقضاء على أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، والتواطؤ مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل ذلك الغرض السيئ، فتعرضت المدينة بكاملها للقصف الشديد وغارات طائرات النظام الصدامي المروحية، وقد شمل القصف المرقدين المطهرين، وغدت المدينة في حالة يرثى لها، فتهدمت مدارسها وحسينياتها وأهملت مساجدها وأصاب الخراب معظم محلاتها واختفت معالمها. و قدم أهالي المدينة الكثير من الضحايا، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعيد لكربلاء بهجتها وبهاءها إكراماً لمثوى أبي الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. قال تعالى: (**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**)[٣٠].

ويبقى الموقف يهز الضمائر ويحرك الوجدان ويثير في النفس عوامل القوة والثبات، وسيبقى اسم الحسين عليه السلام عالياً يتحدى الدنيا ■

---

(١) تاريخ كربلاء وحائر الحسين، د. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، ص١٨٤، ط١.
(٢) الأمالي، الشيخ الطبرسي، ج١ص٣٢٧.
(٣) تاريخ كربلاء وحائر الحسين، ص١٨٧.
(٤) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، ج٤ ق١، ص٣٠٤.
(٥) مجالي اللطف بأرض الطف، الشيخ محمد السماوي، ص٥٥.
(٦) وفيات الأعيان، ابن خلكان ٤٥٥/١.
(٧) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص٥٩٨.
(٨) مجالي اللطف بأرض الطف، الشيخ محمد السماوي، ص٥٥.
(٩) الكامل في التاريخ، ابن ألأثير، ج٧ حوادث سنة ٣٦٩هـ.
(١٠) المنتظم، ابن الجوزي، ج٣
(١١) تجارب الأمم، مسكويه، ج٦ ص٤٦٤.
(١٢) مجالي اللطف بأرض الطف، ص٥٦.
(١٣) المنتظم، ابن الجوزي، ج٧ ص١٧٣.
(١٤) مجالي اللطف، ص٥٦.
(١٥) تاريخ كربلا المعلى – عبد الحسين الكليدار آل طعمة، ص١٢.
(١٦) بحاء الأنوار، العلامة المجلسي، ج١ ص٧ ٢٩.
(١٧) مجالي اللطف بأرض الطف، الشيخ السماوي، ص٥٦.
(١٨) مجالس المؤمنين، القاضي نور الله التستري، ج
(١٩) تاريخ كربلاء وحائر الحسين، د. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، ص٢٢٧.
(٢٠) دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، مجموعة من الباحثين، ص١٧٦.
(٢١) مجالي اللطف بأرض الطف، الشيخ السماوي، ص٥٧.
(٢٢) أربعة قرون من تاريخ العراق، لونكرك، ترجمة: جعفر الخياط، ص٢٦٠، ٢٦١.
(٢٣) المصدر السابق، ص٢٦١.
(٢٤) تاريخ كربلاء وحائر الحسين، د. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، ص٢٣٣.
(٢٥) عن مجموعة خطّية للشيخ حمود الساعدي، وقد نقلها من كتاب للأدعية مدوّن فيه فوائد تاريخيّة تعود إلى أسرة آل العذاري الحلّيين، ١٤/ ٤/٥٢ ١٩.
(٢٦) تاريخ العراق الحديث، الدكتور عبد العزيز سليمان نوّار، ٨٨-٨٩، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
(٢٧) شهداء الفضيلة، الشيخ عبد الحسين الأميني، ص٥٠١.
(٢٨) العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ص٣٠٦.
(٢٩) موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء، ج١، ص٢٨٠.
(٣٠) سورة التوبة، آية ٩.

صورة من الطف..

لما أصبح ابن زياد لعنه الله بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به في سكك الكوفة وقبائلها.

فروي عن زيد بن أرقم أنه قال:

مر به عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي فلما حاذاني سمعته يقرأ : (أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)..

وقف والله شعري وناديت: رأسك والله يا ابن رسول الله أعجب وأعجب ..

إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٧٣

أجوبة مسابقة العدد (٤٢)
وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. زرارة بن أعين

السؤال الثاني: ج. ١٥ يوماً

السؤال الثالث: ج. ٢٠ سنة

السؤال الرابع: ب. السيد إسماعيل الشيرازي

السؤال الخامس: ج. علم الرجال

السؤال السادس: أ. العمدة

السؤال السابع: ب. أحمد شاه چراغ

السؤال الثامن: أ. ٦

السؤال التاسع: أ. من عصمه الله

الفائز بالجائزة الأولى: ثامر عطية كاظم/ الديوانية ـ الجمهوري الشرقي.

الفائز بالجائزة الثانية: عادل جابر أسود/ الحلة ـ الماشطة.

الفائز بالجائزة الثالثة: مهدي چياد مهلهل/ بغداد ـ حي الأمانة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٤٤)

١ أبو الشعثاء الكندي كان رامياً ماهراً دعا له الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء قائلاً: «**اللهم سدد رميته**» فرمى مائة سهم ما أخطأ منها إلا ...؟

أ ـ ٥ سهام　　ب ـ ٧ سهام　　ج ـ ١٠ أسهم

٢ **ناديت سكان القبور فأسكتوا**
وأجابني عن صمتهم ترب الحصا
قالت أتدري ما فعلت بساكني
مزقت لحمهم وخرقت الكسا

أبيات قالها الإمام الحسين عليه السلام في مناسبة ما، فما هي؟

أ ـ زيارة مقابر الشهداء بالبقيع
ب ـ زيارة قبر الحمزة بأحد
ج ـ زيارة أبي طالب بالحجون

٣ دخل الإمام الحسين عليه السلام مكة لثلاث مضين من شعبان، فجعل أهل مكة ومن بها من المعتمرين يختلفون إليه. فأين نزل فيها؟

أ ـ الحجون　　ب ـ شعب أبي طالب　　ج ـ الأبطح

٤ **هذا دمي فلترو صادية الضبا**
منه وهذا للرماح وتيني
هذي رجالي في رضاك ذبائح
ما بين منحور وبين طعين

أبيات نظمها شاعر معروف يعد من طليعة شعراء كربلاء، فمن هو؟

أ ـ الشيخ محسن أبو الحب
ب ـ الحاج جواد بدقت
ج ـ الشيخ كاظم الهر

كوبون المسابقة

ينابيع ٤٤

جواب السؤال الأول
أ　ب　ج

جواب السؤال الثاني
أ　ب　ج

جواب السؤال الثالث
أ　ب　ج

جواب السؤال الرابع
أ　ب　ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ج/ ١٤٣٣هـ.

جواب السؤال السابع	ج	ب	أ

جواب السؤال السادس	ج	ب	أ

جواب السؤال التاسع	ج	ب	أ

جواب السؤال الخامس	ج	ب	أ

جواب السؤال الثامن	ج	ب	أ

٥ كان بين أنصار الحسين عليه السلام من قاتل يوم الطف وأصيب بجراحات إلا أنه بقي مدة ثم مات إثر هذه الجراحات، فكم كان عدد هؤلاء؟

أ ـ شخص واحد ب ـ شخصان

ج ـ ثلاثة أشخاص

٦ «**لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله لئن هلكت لنسترقنّ بعدك**»، كلمات وجهها أحد الناصحين للإمام الحسين عليه السلام عندما قصد مكة. فمن يكون؟

أ ـ عبد الله بن عباس

ب ـ عبد الله بن مطيع

ج ـ عبد الله بن عمر

٧ فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام أشبه الناس بجدتها فاطمة الزهراء عليها السلام، شهدت واقعة الطف بصحبة زوجها الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط عليه السلام، فكم ذكوراً أنجبت للحسن المثنى؟

أ ـ ٣ ذكور ب ـ ٤ ذكور ج ـ ٥ ذكور

٨ لما منع الإمام الحسين عليه السلام الماء واشتد به العطش دعا أخاه العباس عليه السلام ومعه جماعة بين خيالة ومشاة، وأصحبهم عشرين قربة، فكم كان عدد المشاة منهم؟

أ ـ ١٠ مشاة ب ـ ٢٠ مشاة

ج ـ ٣٠ مشاة

٩ مسلم بن عقيل ثقة الحسين عليه السلام وسفيره، أرسله إلى الكوفة ليكون ممثلاً عنه، فمتى انطلق مسلم إليها؟

أ ـ ١٥ رمضان ٦٠ هـ

ب ـ ٢٠ رمضان ٦٠ هـ

ج ـ ٢٥ رمضان ٦٠ هـ